

نبوءة "تفرروهو" (نفرتى) البوبسطى فى الدولة الوسطى صفحات مهمة فى تاريخ السرد فى أدب الحكمة الفرعونى

الدكتور محمود عمر محمد سليم
أستاذ الآثار والحضارة المصرية القديمة
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم
جامعة الزقازيق

النص وترجمته فى ضوء تراكيبه وأساليبه الدلالية:

اكتشف بردية تنبؤات "نفرتى" -التي تُعرف بإسم بردية "تفرروهو"^(١)- ونشرها العالم الروسي "جولينشيف" Golénischeff, W^(٢)، وهي الآن محفوظة فى متحف "لينجراد" برقم (١١١٦ ب)^(٣). ورأى سليم حسن أن كاتبها يدعى أنها ألقبت فى حضرة الملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة القديمة^(٤)، وهو وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات "نفرتى" قوة التأثير، ومن حسن الحظ أن كاتبها آخر من عهد الدولة الحديثة ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال، حتى إنه لما لم يجد لديه بردياً أبيض ينقله فيه أخذ بعض أوراق أخرى مستعملة فى تدوين حسابها عليها، ونقل تلك النبوءات على ظهرها، وبذلك بقيت نبوءات "نفرتى" أو "تفرروهو" فى تلك الصورة التى وصلتنا عفوياً بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقلها بطريق المصادفة^(٥). وترى

(١) وقد شاع ذكر اسم بطل هذا العمل بالقراءة "تفرروهو"، أو: "تفرروحو" التى تعنى "زين الرجال"، بالرغم من كتابته بالقراءة "نفرتى"، لذلك فإن "جورج بوزنير" Georges Posener أثبت ضرورة تصحيح القراءة لتكون "نفرتى". انظر: كليبر لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ج ٢، ص ١١٩، نهاية الحاشية ١٦٨.

وانظر أيضاً: Posner, G.: in: Revue d' Egyptologie, vol. 8, p. 171.
(٢) Golénischeff, W.: Les papyrus hieratiques No 1115, 1116 B, de L'Ermitage Imperial a St. Betersbourg, 1913.

(٣) أحمد فخري: الأدب المصري، فى: تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى)، ألفه نخبة من العلماء، المجلد الأول، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٤٥٠.

(٤) التواريخ المذكورة وفقاً لأحداث تقديرات العلماء، على أن هذه التقديرات تقريبية تتفاوت بين الزيادة والنقصان، ومن الصعب حسابها بدقة. ولهذا اعتمدت على دراسة متخصصة فى هذا الموضوع، والتى ورد فيها أن الملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة قد حكم مصر من عام ٢٩٠٠ قبل الميلاد، وبقيت أسرته تحكم مصر حتى عام ٢٤٧٥ قبل الميلاد. انظر: Beckearth, J.v: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, in : MÄS 20, München, 1984, 52, 158, 178.

(٥) انظر: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول: فى القصص والحكم والتأملات والرسائل، مطبوعات كتاب اليوم، العدد ٢، ديسمبر ١٩٩٠، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٤٥، ص ٣٣٣.

نبيلة محمد عبد الحلیم أن هذه البردية من القطع التي جرى تلقينها لطلبة المدارس في الدولة الحديثة^(٦). وعلى الرغم من أن النسخ التي عثر عليها للنص ترجع إلى الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من الدولة الحديثة^(٧)، وبالرغم من إشارة النص ذاته إلى الملك "سنفرو"، باعتباره الملك الذي نسبت إلى عصره، إلا أنه قد رأى بعض علماء المصريات أن هذا النص قد كتب في بواكير عهد الملك "أمنمحات الأول"، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى^(٨). ويبدو أنها ترجع في نسخها إلى عصر الملك "تحتمس الثالث" سادس ملوك الأسرة الثامنة عشرة^(٩). ولم يقتصر تدوين هذا العمل الأدبي على هذه البردية، وإنما عثر عليه مكتوباً كذلك على عدد من لوحات الكتابة "Writing-boards"، عثر على اثنين منها، إحداهما في المتحف البريطاني *Brit. Mus. No. 5647*، إلا أنها - للأسف - لا تتضمن غير بضعة أسطر، حيث تم الاعتقاد أيضاً أنها كانت تستخدم لتعليم أحد الصبية، والذي قام بمحو معظم النص لتنظيف اللوح لمعاودة الكتابة عليه^(١٠)، كذلك عثر على النص منسوخاً على بعض الشقاقات (الأوستراكا) التي وصلتنا من قرية "دير المدينة" بالبر الغربي من "طيبة" (الأقصر الحالية)^(١١).

قام عدد من العلماء بترجمة البردية، وعلى رأسهم "ألان جاردنر" *Gardiner, A.H.*^(١٢)، وقام "فولفجانج هلك" *Wolfgang Helck* بنشر عدد من النسخ التي عثر عليها للنص، ولكن بعد تحويلها transcription إلى الخط الهيروغليفى، وذيلها بترجمة باللغة الألمانية^(١٣)؛ كما قدم للنصوص والترجمة بقائمة وافية لكل ما عثر عليه من آثار لهذا النص من لوحات وشقاقات، مشيراً إلى ناشريها^(١٤). وتعد ترجمة "فولفجانج هلك" *Wolfgang Helck* من أتم الترجمات للنص، حيث كانت الترجمات السابقة تتجاوز بعض الجمل لما فيها من صعوبات، مثل ترجمة "إرمان" *Erman, A.*^(١٥)، وغيره. أما

(٦) انظر: نبيلة محمد عبد الحلیم: مصر القديمة تاريخها وحضارتها، الطبعة الثانية، الإسكندرية ١٩٨٠م، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٧) الأسرتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من الدولة الحديثة حكمتا مصر خلال الفترة من عام ١٥٥٠ حتى ١٢٩١ قبل الميلاد، ثم من عام ١٢٩١-١١٨٥ قبل الميلاد، انظر:

Beckearth, J.v: *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, ss. 83-93, 161-162, 224-243.

(٨) والذى حكم خلال الفترة من عام ١٩٩٤-١٩٦٤ قبل الميلاد، انظر:

Beckerath, J.v.: *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, ss 65, 159, 197.

وانظر كذلك: عبد الحلیم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٤٨٧-٤٩٥.

(٩) والذى حكم مصر خلال الفترة من عام ١٤٧٩-١٤٢٥ قبل الميلاد، انظر:

Beckerath, J.v.: *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, ss 84-85, 161, 226-228.

وانظر كذلك: عبد الحلیم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص ٤٨٧-٤٩٥.

(١٠) Erman, A.: *The Literature of the Ancient Egyptians*, translated by Blackman, A. M. , 1st. ed . , London 1927, p. 110.

(١١) كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دينوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ص ١١٩، حاشية ١٦٨.

(١٢) Gardiner, A.H.: in: *Journal of Egyptian Archaeology* 1(1914), pp. 100 ff.

(١٣) Helck, W.: *Die Prophezeiung des Nfr.ti*, Textzusammenstellung, Wiesbaden 1970.

(١٤) Helck, W.: *Die Prophezeiung des Nfr.ti*, ss. 1-2.

(١٥) Erman, A.: *The Literature of the Ancient Egyptian*, pp. 110-15.

الترجمة العربية للنص فقد بدأها "سليم حسن"^(١٦)، وكانت تعريباً لترجمة "بلاكمان" Blackman, A. M. عن "إرمان" المشار إليها سلفاً، وقد أسقط بعض فقراتها لذات الصعوبات. ولسنا نعلم ترجمة عربية كاملة للنص، عدا تعريب "ماهر جويجاتي" للترجمة الفرنسية نقلاً عن "كلير لالويت"^(١٧).

والحق أن هذا النص يعد من أعقد النصوص المصرية القديمة من الناحية اللغوية، وذلك بوصفه نصاً أدبياً عميقاً الأساليب، جديد التراكيب، يتضمن إشارات أدبية وتاريخية تستوجب الوقوف عليها؛ في حين نجد بعض الاختلافات بين الترجمات.

وقد دفعنا ذلك إلى إعادة النظر في الترجمة، بالعودة إلى النص ذاته بالقلم الهيروغليفي في كتاب "قولفجانج هلك" Wolfgang Helck، ليكون التعامل مع النص مباشرة، ودون الاعتماد على ترجمات مختلفة أحياناً، أو مقتصدة أحياناً؛ أو منقولة عن ترجمة.

لهذا فإن ترجمتنا هنا كاملة وتعد أول ترجمة عربية مباشرة نقلاً عن النص الهيروغليفي - وذلك في حدود علمنا، وربما يعد ذلك - في حد ذاته - من أهم معطيات هذه الدراسة، إلى جانب التحليل الأدبي والتاريخي للنص في حدود موضوع البحث عن تقنية من تقنيات السرد المصري القديم، والكشف عن آليات لتأويل هذا النص. وقد كانت هذه الترجمة بحق أقرب مدخل لموضوع البحث، لأنها مكنتني من الالتحام به، بدلاً من الاعتماد على الترجمات السابقة.

غير أنه من نافلة القول الاعتذار مقدماً عن الغموض الدلالي في ترجمة بعض الجمل، نظراً لغموض دلالاتها في النص ذاته، لغرابة بعض الأساليب أو التراكيب النحوية القديمة في النص، وذلك من الصعوبات المعهودة في ترجمة الأدبيات المصرية القديمة.

وفي مثل هذه الحالات، فضلت عرض الجملة بمعناها المباشر الوارد في النص، تاركاً تأويل دلالاتها للمتلقى؛ فإن مثل هذه الجمل الغامضة مفتوحة الدلالة، ولا ينبغي أن نغلقها في إطار معنى واحد بحسب رؤية المترجم وتأويله، لأن ذلك قد يعد تزيفاً للأسلوب الأدبي للكاتب.

وقد عبر "سليم حسن" عن تلك الصعوبات التي يجدها مترجمو النصوص المصرية عامةً، فيقول أن الباحث في الأدب المصري القديم يعاني من التعب وكدّ الذهن والحيرة ما لا يعانيه باحث في لغة من اللغات الحديثة ف أي عصر من عصورها؛ فقد نجد فيه كلمات غامضة الدلالة، وأساليب تدل على معانٍ اندثرت مع عادات قوم لا نعرفها، وجمالاً فقدت الكثير من الروابط والصلات، إلى غير ذلك من الصعوبات، حتى أن كثيراً من علماء الآثار النابهين قد اختلفوا اختلافاً بيناً في تراجمهم. لذلك يُقر بأنه ترك بعض الجمل بدون ترجمة، حين وجدها متبلبلّة مضطربة، وأنه قد عرض بعض الجمل على ما هي

(١٦) انظر: سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثالث: العصر الذهبي، في تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها، وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيبا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٧١-١٧٤. وانظر أيضاً: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(١٧) كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الثاني، ص ٨٧-٩١.

عليه بغير تصرفٍ منه، ليعطى للقارئ صورةً صادقةً لأدب القوم وعقليتهم، إذ ليس من الأمانة في شيءٍ أن نعرضها بعد إعمال القلم فيها بالتبديل أو التحوير، أو الحذف أو التتميق^(١٨).

ولهذا أتفق مع أستاذنا "سليم حسن" في آخر ما ذكر، ولا أوافق على ترك بعض الجمل بدون ترجمة، لذلك قمت هنا بترجمة النصِّ كاملةً، وإن غمضت دلالات بعض الجمل على نحو ما أشرت سلفاً. وفيما يلي أقدم ترجمة النص:

القراءة الصوتية^(١٩) وترجمة العربية لبردية "تبوءة نفرتي"

hpr swt wnn hm n nsw bity snfrw m3^c hrw m nsw mnḥ m t3 pn r dr.f.
W^c m nn hrw hpr(w), k^c pw ir.n knbt nt hnw r pr-^c3.

حدث (أن) كان جلالة ملك مصر العليا والسفلى، "سنفرو"، صادق الصوت، ملكاً محسناً في هذه الأرض إلى آخرها.^(٢٠) (وفى)^(٢١) أحد الأيام، دخل أتباع القصر (الحاشية) على الفرعون - يحيى سالمًا معافى - للبحث في بعض الأمور.

Prt pw ir(w).n.sn nd.sn hrt mi nt-^cw.sn nt r^c nb, dd.in hm.f-^cnhw wd3w
snbw - n sd3w nty r gs.f isy in n.i knbt nt hnw prt 3 r nd hrt m hrw pn,
st3w.n.tw.f hr-^c, wn.in.sn hr ht.sn m b3h-^c hm.f-^cnhw wd3w snbw - m whm-^c
وقد خرجوا بعد أن بحثوا أموراً وفقاً لعادتهم اليومية. عندئذ^(٢٢) قال جلالتة - يحيى سالمًا معافى - لحامل أختامه الذي بجانبه: اذهب وأحضر لى أتباع القصر الذين خرجوا من هنا للتشاور في أمور في هذا

(١٨) انظر: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٦-٧.

(١٩) لم أكتب الكتابة الهيروغليفية الخاصة بالبردية لعدم الإطالة. واكتفيت بكتابة قراءتها الصوتية للنص، المعروضة في المتن ثم ترجمتها. وكتبت هذه القراءة الصوتية بأحرف اصطلاحية تعارف عليها دارسو علم المصريات، وأغلب حروفها متخذة من الأحرف الإنجليزية، فيما عدا بعض الأحرف التي لا نظير لها فيها، وهي: الألف أو الهمزة ورُمز لها بالرمز (3)، العين ورُمز لها بالرمز (٢)، والحاء ورُمز لها بالرمز (h)، والحاء ورُمز لها بالرمز (h)، والغين ورُمز لها بالرمز (g)، والشين ورُمز لها بالرمز (s)، والقاف ورُمز لها بالرمز (k)، والثاء ورُمز لها بالرمز (t)، والجيم المعطشة ورُمز لها بالرمز (d). وفيما عدا هذه الأحرف، فالأحرف الأخرى يكون لها ذات النطق المعروف.

(٢٠) عبارة: (الأرض إلى آخرها) مقصود بها "أرض مصر كلها".

(٢١) الكلمات بين الأقواس بعضها مضاف للترجمة، وبعضها للتوضيح.

(٢٢) الجمل المفتحة بكلمة "عندئذ" هي الطريقة الشائعة في ترجمة الجمل المصرية المبينة نحويًا في أبنية معينة تفيد تتابع الأحداث في النصوص القصصية، وهي من الأساليب الشائعة في السرد المصري القديم. وعن مزيد من التعرف على هذه الأبنية ودلالاتها في السرد القصصي، انظر: أحمد علي منصور: الجمل الصغرى التابعة السادة مَسَدَ الاسم في اللغة المصرية القديمة في عصرها القديم والوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق ٢٠٠٥م، ص ٣٠١-٤٢٣.

وانظر أيضاً: Doret, E.: The Narrative verbal system of Old and Middle Egyptian, in: Cahiersd' Orientalisme XII (Geneva: Patrick Cramer, 1986).

وانظر تناولاً آخر وقوائم بمراجع هامة للدراسة اللغوية للأبنية القصصية، في: عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، الطبعة الثامنة، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٣٨-١٤٠.

اليوم. فأدخلوا وأحضروا في الحال، وانكبوا على بطونهم أمام جلالته - يحييا سالماً معافى-^(٢٣) كعادتهم مرة ثانية.

dd.in hm.f - ʕnhw wd3w snbw - n.sn rhw mt n rdi.n.i i3ʕš.tw n.tn r rdit dʕr.tn n.i s3.tn m š33 sn.tn m ikr hnms.tn wd sp nfr dd.ty.f n.i nhy n mdt nfrt tsw stpw d3y hr n hm.i n sdm st.

عندئذ قال جلالته - يحييا سالماً معافى - لهم:

أيها المقرَّبون، تأملوا، إنني دعوتكم لتبحثوا لي عن ابنٍ لكم حكيمٍ، أو أخٍ لكم ماهرٍ، أو صديقٍ لكم يصطنع الحكايات المسلية، ليحكي لي قليلاً من أحاديثٍ جميلةٍ، وكلامٍ مختارٍ يبتهج القلبُ للاستماع إليه^(٢٤).

rdi.in.sn hr ht.sn m b3h-ʕ hm.f - ʕnhw wd3w snbw - m whm-ʕ, dd.in.sn hft hm.f ʕnhw wd3w snbw iw hry-hbt ʕ3 n B3st - ity nb.n - Nfrty rn.f, nds pw kn gb3.f sš ikr n dbʕw.f špss pw ʕ3 n.f ht r mity.f nb hwy [in.f??] r m33 hm.f.

فانكبوا على بطونهم أمام جلالته - يحييا سالماً معافى - وقالوا أمام جلالته - يحييا سالماً معافى: إنه رئيس الكهنة المرتلين ل باست^(٢٥)، أيها الملك يا سيدنا، واسمه "نفرتي"، وهو رجلٌ بسيطٌ، قويُّ الأكتاف، وكاتبٌ ماهرٌ الأصابع، وهو غنيٌّ تكثرُ له الأملاكُ أكثرَ من كلِّ أمثاله، ليته (يحضر؟؟)^(٢٦) ليشاهد جلالته.

dd.in hm.f (ʕ.w.s.) is in n.i sw, st3.in.tw.f n.f hr-ʕwy, wn.in.f hr ht.f m b3h-ʕ hm.f (ʕ. w. s.), dd.in hm.f (ʕ. w. s.) mi mi Nfrty hnms, dd.k n.i nhy n mdt nfrt tsw spw d3y hr n hm.i n sdm st.

فقال جلالته - يحييا سالماً معافى: اذهبوا وأحضروه إليّ، فأدخل إليه في الحال، فانكبَّ على بطنه أمام جلالته، يحييا سالماً معافى.

عندئذ قال جلالته: تعال يا "نفرتي"، يا صديقي، ولتحكي لي قليلاً من الكلام الجميل، والأقوال المختارة التي يبتهج وجهُ جلالتي عند سماعها.

dd.in hry-hbt Nfrty in-iw m hp rt in-iw m hp rt.f sy ??? ity (ʕ. w. s.) nb.i dd.in hm.f (ʕ.w.s) m hp rt.st swt min is [hp rt hr n.i].

عندئذ قال الكاهنُ المُرتلُ "نفرتي": أمِن الحادث، أم مما سوف يحدث أيها العاهل - يحييا سالماً معافى.

فقال جلالته - يحييا سالماً معافى: مما سوف يحدث، فإن اليوم أحداثٌ مرَّت عليّ.

ʕhʕ .n dwn.f drt.f r hn n hrt-ʕ, ʕhʕ.n šd.n.f n.f šfdw hnʕ msti.

^(٢٣) تتكرر كثيراً العبارة: (يحييا سالماً معافى)، وهي دعاء تقليدي للملوك، نجدها في سائر النصوص المصرية القصصية متى ذُكر اسم الملك.

^(٢٤) تعبر هذه الجملة عن أن غرض الملك من الاستماع لأقوال الحكيم "نفرتي" هو الاستمتاع أو التسرية عن النفس، لكن ذلك يعني أن الملوك أو غيرهم كانوا يجدون المتعة في مثل هذه الأحاديث، لا لمجرد التسلية.

^(٢٥) المعبودة "باسطة" - والتي تقرأ أيضاً "باستت" - كان مركز عبادتها مدينة برياست "بواسطة" (تل بسطة حالياً بالزقازيق)، وكانت تجسد في هيئة القطة أو أنثى برأس قطة. ومن ألقابها الشائعة: (باستت ربة السماء، سيدة كل الأراضي)، انظر: عبد الحلیم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، ص ٣٠٩.

وانظر أيضاً: محمود عمر محمد سليم: بئر العائلة المقدسة في تل بسطة، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٢٠٧-٢٤١.

^(٢٦) الفعل (يحضر) غير موجود بالنص، فقد تهشم موضعه، ولكنه اقترح من المترجم.

ثم مدَّ يده إلى صندوقه (المخصص) لأدوات الكتابة، وأخذ لفافة بردي وقلماً، وبدأ في كتابة ما يقول الكاهن "نفرتي".

rh-ht pw n i3b ny-sw B3st m wbn.s , msw pw n hk3-ᶜd.

إنه حكيمُ الشرق، المنتمي إلى "باست"^(٢٧) عند شروقها، وهو أحد أبناء "عين شمس" (حقاً - عج) ^(٢٨).

iw.f hr mht.f hr hprrt m t3 , iw.f sh3.f kni n i3btt hpw 3mw m hpšwt.sn sh.sn ibw nyw hr šmw nhm.sn htrw hr sk3.

وقد كان قلقاً على ما يحدث في الأرض وهو يفكر في قوة الشرق^(٢٩)، ومواجهة الآسيويين بقوتهم (عندما) يخيفون قلوبَ الفلاحين (الحاصدين)، ويسرقون ماشيتهم أثناء الحرب.

dd.f hws ib.i rmw.k t3 pn š3.n.k im.f gr m iwḥ mk wn dd.ti rf m stryt mk rf wn i3w m pth.

وقال مضطرباً: ^(٣٠) أيها القلبُ، ابكِ هذه الأرض التي نشأت بها، واسكُتْ في ألمٍ، انظر من كان يُقال عنه بالثناء، وانظر وقد كان ^(٣١) العجوزُ منبطحاً.

š3ᶜ.n.k im t3 m wrd mk st hft hr.k ᶜhᶜ.k r ntt m b3h.k mk rf wn wrw m shrw nw t3 iryt m tmt ir š3ᶜ m grg.

لقد نشأت في الأرض في تعب، فانظر إنها أمامك، وانفض إلى ما أمامك، وانظر (كيف) كان كبار (القوم) من أحوال الأرض، وقد حدث ما لم يحدث، وما توقعته اليوم يحدث.

t3 3kw r 3w n hpr d3t , nn sp km n 3nt m š3t.f.

الأرض دمرت كلها لما حدث (من) جرائم (؟؟)، ولم يحدث أن أتمت يدٌ ما بدأت.

hd t3 pn , nn mhy hr.f nnd , nn ir rmw wn t3 pn m m itn hbsw , nn psd.f m33 rhyt , nn ᶜnh.tw hsw šnᶜ [hbs...]. wn.in.s hr-nb idw m g3w.f.

^(٢٧) وهي تشغل المكان المعروف حالياً "تل بسطة" التي تشغل جزءاً من مدينة "الزقازيق" الحالية. والاسم (بو- باسطة)، أو: (بر- باستت) يعني: (مكان، أو سكن باستت)، في إشارة إلى المعبودة "باستت" التي رمز إليها بالقطعة. وكانت "بواسطة" عاصمة للأسرة الثانية والعشرين، كما كانت عاصمة للإقليم الثامن عشر من أقاليم الوجه البحري. عبد الحلیم نور آثار وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٤٨. وانظر أيضاً: عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومناحف الآثار المصرية، ص ٤٣ .

^(٢٨) إقليم "حقا- عج" أو "حقا - عنج" هو الإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى (الدلتا)، وكانت عاصمته مدينة "أون" أو "إيون"، والتي سميت باليونانية (هليوبوليس)، أي: مدينة الشمس، وعرفت في العربية باسم (عين شمس). انظر: سيريل ألدريد: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدری، مراجعة: محمود ماهر طه، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (نحو وعي حضاري معاصر)، مشروع المائة كتاب/٦، مطبوعات المجلس الأعلى للآثار (القاهرة، د.ت)، ص ٢٣٠.

^(٢٩) أي البلدان الواقعة على حدود مصر الشرقية.

^(٣٠) هنا تبدأ الفقرة الرئيسية في النص، والتي تعد بمثابة القلب، إذ هي مسبوقة بالأحداث الافتتاحية، وتتبعها الفقرة الختامية. وفي متن البحث بيان تفصيلي بهيكل سرد الأحداث. ونلاحظ في الفقرات التالية من النص وصفاً مفصلاً لما يتنبأ به "نفرتي" من الأحداث الجسيمة التي ستمر بها مصر، وهو يحكيها للملك "سنفرو"، وذلك تمهيداً للتنبؤ بمجيء "أميني" مخلصاً للبلاد من هذه الأحداث، على نحو ما سيجيء في الفقرة الختامية من النص.

^(٣١) استعمل الكاتب المصري هنا الفعل الدال على الكينونة، والذي يُقرأ (wn).

دُمرت الأرضُ، وليسَ منَ ينوحَ عليها، وليسَ منَ يتكلم، وليسَ منَ يبكي. فكيفَ صارتَ هذه الأرضُ، فالشمسُ حُجبت، ولمَ تُشعَّ بالضياءَ ليرى الناسُ، ولنَ يعيشَ أحدٌ، (فقدَ احتجبتَ الريحُ) (٢٢) .. وكانَ كلُّ رجلٍ قدَ فقدَ السمعَ بما فقدَ (٢٣).

iw.i r dd n nty hft hr.i n sr.n.i ntt n iy.

أنا سأتكلم (عن) الذي أمامي، ولنَ أتنبأَ بما لمَ يأتَ (٢٢).

trw šw n Kmt d3.tw mm hr rdwy tw r hhy mw n h'w r skdw.f w3t.f hpr.ti m wdb iw wdb r nty mw st mw r nty m st.f mw tr w3d.bw.

ونهرُ مصرُ خالٍ، ويعبرُ الشخصَ الماءَ على قدميه، والشخصُ يبحثُ عنَ الماءِ (حتى) تبحرَ عليه السفنُ. فطريقُه صارَ شاطئاً، والشاطئُ صارَ ماءً (٢٣).

iw rsw hsf m mhyt nn pt m t3w w' iw 3pdw drdryt r mst m h3t nt t3-mhw ir.n.f s3t hr gswy rmt niwtyw stkn sw rmt n g3w.

وريحُ الجنوبِ تضربُ ريحَ الشمالِ، ولنَ تكونَ السماءُ بريحٍ واحدة. والطيورُ ابتعدتَ عنَ (وضعِ بيضها) في مستنقعاتِ أرضِ الشمالِ (الدلتا). وصنعوا الأعشاشَ بجانبِ سكانِ المدنِ، فقربهمَ الناسُ منَ شدةِ (الفقر).

hd hm nf3y bw nfr n3 n š3w k'hw wnyw hr wg3sw wbnw hr rmw 3pdw bw nfr nb rwi pthw m t3 n ksnwt mi nf3y n df3w styw htyw t3.

لقدَ انقطعتَ هذه الخيراتُ منَ هذه البحيراتِ، والذينَ كانوا يسعونَ للصيدِ ظهروا وهمَ يحملونَ الأسماكَ والطيورَ، وكلُّ خيرٍ اختفى وانقطعَ في الأرضِ بسببِ المصاعبِ، وبسببِ مؤنةِ الآسيويينَ في أنحاءِ الأرضِ.

iw hrw hprw hr i3btt iw '3mw h3t r Kmt ng3w tw hnrst Ky r gs nn sdm, tw r isk m3kt m grh, tw r k' hnrst , tw r snbt kdd m irwy sdr.kwi hr iw.i rs.kwi.

والأعداءُ صاروا على الأرضِ الشرقية، والآسيويونَ نزلوا إلى مصرِ (٢٣).

ويتمُّ تقييدُ الشخصِ (٢٤)، ويُقيّدُ شخصٌ آخرَ بجانبه، وليسَ منَ يسمع. والشخصُ يتراجعُ في الليلِ، والشخصُ سيدخلُ مأواه، والواحدُ سيُسلبُ النومَ منَ عينيه، وأنا أنامُ يقظاً.

'wt h3st r swri mw hr itrw nw Kmt , kbb.sn hr wdb.sn , ng3w stri st [n.i] , iw t3 pn r itt int n rh bsw hrty.fy Imn m dd ptri hr idw.

(٢٢) ربما تدلُّ الجملةُ على تناقضِ أجزاءِ النصِّ، فقبلَ ذلكَ ذكرَ الحكيمُ أنه سيتحدثُ عنَ أحداثٍ في المستقبلِ، بينما في هذه الجملةُ يقولُ أنه يتحدثُ بما هوَ أمامه، ولاَ يتنبأُ بما لمَ يأتَ بعد. ولكنَ ربما يُنفى هذا التناقضُ لو أنه أرادَ فحسبَ التعبيرِ عنَ أنه لاَ يُلَفِقُ هذه الأحداثِ، بقدرِ ما يعبرُ عنَ واقعٍ محتومٍ، إما عنَ طريقِ نبوءةٍ يقينية، أو بوصفها نتائجَ محتومةٍ الوقوعَ لظهورِ مقدماتها.

(٢٣) في هذه الفقرةِ يتحدثُ الكاتبُ عنَ تحرشِ أو تسللِ الأجانبِ إلى مصرِ منَ حدودها الشرقية، والتي كانتَ دائماً منفذَ الغزواتِ على مصرِ عبرَ العصورِ.

(٢٤) كانَ المصريونَ يستخدمونَ ضميراً شخصياً عاماً للأسماءِ النكرةِ أو العامة، وهو الضميرُ (tw)، ونترجمه بـ (الشخص)، أو: (الواحد)، إشارةً إلى شخصيةٍ غيرَ محددة، وأحياناً لشخصيةٍ محددة، ويمكنُ معرفةَ مرجعِ الضميرِ منَ سياقِ النصِّ.

وقطيع البلاد الأجنبية سيثربون الماء على نهر مصر، وسيرتوتون على شواطئها. وقد امتنع من يجعلهم يحترمون أنفسهم، وهذه الأرض سُلِبَت وأحضرت، ولم تُعرَف النتائج التي ستحدث. والمختبئ يقول: "انظر واستمع في صمم".

iw gr hft-hr.i, di.i n.k t3 pn m sny mny tmt hpr hprrt, tw r šsp hʿw n ʿh3 ʿnh t3 m sh3.

السكوت أمامي، وأنا أقدم لك هذه الأرض في فزع وهلع، وقد حدث ما لم يحدث، والشخص يأخذ أسلحة القتال، وتعيش الأرض في اضطراب.

iw.tw r irt ʿh3w m bi3, dph.tw m t snf.

والشخصُ سيصنعُ سهاماً من النحاس، وسيطلب الواحد بالخبز الدم^(٣٥).

sbt.tw m sbt n mr, nn rmw.tw n mwt, nn sdr.tw hkr n mwt, ib n s m s3.f ds.f.

وسيضحك الشخص ضحكاً للألم^(٣٦)، ولن يبكي الشخص للموت، ولن ينام جائعاً للموت، فأمنية الرجل وراء ظهره نفسه^(٣٧).

nn ir.tw s3mt min,ib stni n hr.s r 3w. di.i n.k s3 m hrwy sn m hfty s hr sm3 it.f. hms s r kʿhw.f s3.f, ky hr sm3m ky.

لن يصنع أحدٌ ضفيرة شعر اليوم، والقلب سيبتعد عنها نهائياً^(٣٨). سأقدم لك الابن كعدو، والأخ كعدو، والرجل يقتل أباه. ويجلس الرجل إلى كتفيه وظهره^(٣٩)، والآخر يقتل الآخر^(٤٠).

r nb mhʿw m mr wi, bw nfr nb rwi, 3k t3 š3.tw rf hp. hdd m irt, wš.tw m gmyt, irt m tmmt irrt. nhw ht s r.f, rdiw n nty m rwty, di(i) n.k nb m nhpw rwty m htpw.

وكلُّ فمٍ مليءٌ بقول: أحبوني^(٤١)، وكلُّ شيءٍ طيبٍ يرحل. ستهلك الأرض، وقد فُرِضت عليها القوانين. الخرابُ مصنوعٌ، والدمارُ موجودٌ، والذي فعل لم يفعل (من قبل). وتُسَلَب ممتلكات الرجل منه، وتُعطى للذي من الخارج (الأجنبي)، وأنا أقدم لك السيدَ معوزاً، والأجنبي مرتاحاً.

tmt ir mh n.f ir šw tw r rdit ht msddw r sgr r3 mdw. wšb.f ts hr-ʿ pr hr ht, mdw.tw m sm3mw sw. hnw mdt hr ib mi ht, nn whd n tw pr r r.i.

والشخص سيضع الأشياء المكروهة لإسكات الفم المتكلم. و(عندما) يجيب الشخص في الحال، تخرج العصا، ويتكلم الشخص بقتله، وينزل الكلام على القلب مثل النار، ولن يتجاهل الشخص ما يخرج من الفم.

ʿnd t3 ʿš3 hrpw.f wš ʿ3 b3kw.f ktt it wr ipt h3.tw.s m wbn.

^(٣٥) وفي نسخة أخرى من النص جاءت الجملة هكذا: (وسيطلب الواحد الخبز بالدم).

^(٣٦) تذكرنا هذه الجملة بالمثل الشائع في العربية الفصحى: (شرُّ البلية ما يضحك)، وفي العامية المصرية: (هم يضحك، وهم يبكي).

^(٣٧) تُعبر الجملة عن أن الموت صار أمنية للناس، غير أنها أمنية قريبة المنال، فهي خلف ظهر طالبها.

^(٣٨) الجملة تعمق الإحساس بالحزن واليأس، فهي كناية عميقة الدلالة عن عزوف الناس عن مباحج الحياة وزينتها.

^(٣٩) ربما كانت هذه الجملة كناية عن الحذر الشديد نتاج الخوف وانعدام الأمان.

^(٤٠) أي: وكلُّ رجلٍ يقاتل غيره.

^(٤١) يبدو أن الجملة تعبر عن تقشُّر الكراهية في المجتمع، حتى أن الإنسان يطلب المحبة والعطف بلسانه، وطبعاً لا مُجيب.

تضاعلت الأرض، وكثر حكامها^(٤٢)، وأجديت وعظم خدامها. وتقل الحبوب، ويكثر الكيل (إذ) يُكَالُ في إسراف.

iw R^c iwd.f sw rmt, wbn.f wn wnwtt nn rh.tw hpr mtrt nn tn.tw šwyt nn b3k.tw hr dg3.tw. iw nn ibhw irty m mw wnn.f m pt mi i^ch. nn th nw.f nw šs3 wnn is stwt.f m hr m spw m imyw h3t.

وسيفصل "رع" (إله الشمس) نفسه (عن) الناس، وسيظهر (حين) تكون ساعة لا يعرف الشخص حدوث الظهيرة، حين لا يميز الشخص الظل، ولن يتألق (بالضياء) على مرأى الشخص. ولن تتسكب العيون بالماء، فإنه سيكون في السماء مثل القمر. ولن يذهب أوانه الخاص بالصلاة، وستكون أشعته في الوجه في أوقاته التي كانت من قبل.

di.i n.k t3 m sny mny s3 m nb^c tw nd hrt nd hrt di.i n.k hry r hry phr.ti m phr ht, ^cnh.tw m hrt-ntr.

سأقدم لك الأرض في فرع وهلع، وضعيفُ الزراع صاحبَ زراعٍ. والشخصُ سيُقدم التحيةَ لمن كان يقدم التحية. وسأقدم لك الوضعِعالياً، وما كان يدور في الظهر يدور (في) البطن^(٤٣). ويعيش الشخص في الجبانة^(٤٤).

iw hwrw r irt ^chw wr(.tw) ... ?? r hpr, in šw3ww wnm snt b3kw bhk3w, nn wn hk3-^cndt r t3 mshnt nt ntr nb.

والفقيرُ سيصنع ثروةً، وسيكبر (شأنه) عما كان. والمعوزُ سيأكل القرابين، والخدمُ سيفرحون^(٤٥). ولن يكون إقليم "عين شمس" (حقاً - عج) أرضاً ومقرّاً لأبيّ إله.

nsw pw r iit n rsy, Imny m3^c hrw rn.f, s3 hmt pw n t3-sty, ms pw n hnw Nhn, iw.f r šsp hdt, iw.f r ts dšrt, iw.f (r) sm3 shmty, iw.f r shtp nbwy m mrrt.sn, phr ihy m fh^c wsr m nw dit.

وسيأتي ملكٌ من الجنوب، اسمه "أميني" (أموني)^(٤٥) صادق الصوت^(٤٦)، وهو ابنُ امرأةٍ من "تاستي" (النوبة)، وهو مولودٌ منسوبٌ لمقر الملك (في) "نخن"^(٤٧). وسيتسلم التاج الأبيض، وسيحمل التاج

^(٤٢) وردت في النص كلمة (*hrpw*)، ومعناها الحرفي: القائمون بالإدارة، والمقصود بها الإشارة إلى (الحكام)، على نحو ما نقوله في عصرنا الحديث (الإدارة الأمريكية) مثلاً، إشارة إلى الإدارة الحاكمة.

^(٤٣) أو: (والذي كان يجوب الأرض في الظهر، يجوب الباطن) ؟ ؟ .

^(٤٤) أو: (وتعيش الأرض في الجبانة).

^(٤٥) وبدايةً من هذه الفقرة يجيء ذكر التنبؤ بمجيء الملك "أممنحات الأول" المشار إليه بالاسم "أميني" أو "أموني" نسبةً للمعبود المصري القديم "آمون" الذي كان يُعبد في مدينة "طيبة" (الأقصر الحالية).

^(٤٦) العبارة (صادق الصوت) تعني: (المُبرأ)، وغالباً ما كانت تطلق على الأموات، مثلما نطلق على أمواتنا اللقب: "المرحوم فلان".

^(٤٧) وهي قرية "الكوم الأحمر" حالياً، وكانت تسمى في العصر اليوناني: (هيراكونبوليس).

الأحمر، وسيوحد التاجين^(٤٨)، وسيريح (يرضي) الربين بما يحبان^(٤٩)، وستغدو الحقولُ في قبضة (قوية)، والمجدافُ في عناية يد ... (٤٤).

ršy rmt nt h3w.f, s3 n s r irt rn.f r nhḥ hnḥ dt, w3yw r dwt k3yw sbyw, shr n.sn rw.sn n sndw.f.

وسيتتهج الناس (في) عصره، وابنُ الرجلِ سيضع اسمَه دائماً وإلى الأبد. والسائرون إلى الشرور والمخططون للعصيان سيوقفون كلامهم للخوف منه.

iw ḥmw r hr n šḥt.f, tmḥw r hr n nswt.f, iw sbiw nw ndnd.f h3kw-ib nw šfšft.f. iw ḥrḥt imyt hnty.f hr shryt.f h3kw-ib.

والآسيويون سيسقطون بذبحه (لهم)، والليبيون سيسقطون بلهيبه، والمتمردون على كلامه، وفاسدو القلب من مهابته. والحيَّة التي على جبينه ستهدئُ فاسدي القلوب.

tw r kd inbw ḥk3 ḥnw wd3w snbw, nn rdit h3y ḥmw r Kmt, dbḥ.sn mw mi shrw sš3w r rdit swri ḥwt.sn.

والواحد سيبنى حائطَ الحاكم يحيا سالمًا معافى، ولن ينزل الآسيويون إلى مصر، وسيطلبون الماء كعادتهم (في) توسل، حتى تشرب ماشيتهم.

iw m3ḥt r iit r st.s, isfwt dr sy r rwty, ršy gmḥty.f wnnty.fy hr šms nsw. والعدالة ستجيء إلى مكانها، والشرورُ سترحل إلى الخارج، وسيتتهج الذي سينظر (ذلك)، ومن سيكون في تبعية الملك.

iw rh-ht r stt n.i mw (m33.f ddt.n.i) hpr.

والحكيمُ سيصب الماء من أجلي، (حين) يرى أن ما قلته قد حدث.

وتحليل هذا النص يكشف عن بعض من الرؤى التحليلية الكاشفة للقيمة الأدبية السردية التاريخية،

تتضح فيما يلي:

أولاً: شخصية الملك "سنفرو"،

ودلالة توظيفها في النص

وخلاصة النص هي أن الملك "سنفرو" قد أمر حامل أختامه باستدعاء رجال البلاط ذات يوم، وطلب منهم أن يخبروه عن رجل من أهل الحكمة والثقافة الرفيعة ليستمتع بأحاديثه الشيقة، فما كان من رجاله إلا أن أشاروا عليه بكاهن مرتل من مدينة "باست" التي تُعرف بمدينة "بواسطة"، يُدعى "نفرتي"، وصفوه له بأنه مواطن مصري طويل الباع، شديدة الإرادة، وكاتب طلق الأصابع، ذو مقام وثناء.

فأمر الملك باستدعائه، فأطاعوا. فلما حضر "نفرتي"، وخر ساجداً أمام الملك، قال له: إلى يا "نفرتي" يا صديقي، وحدثني بمواعظ مختصرة سديدة، أو أحاديث طريفة استمتع بسماعها. فسأله "نفرتي": هل مما حدث، أم سيحدث يامولاي؟، فقال "سنفرو": بل سوف يحدث، فإن ما تم حدث وانقضى.

^(٤٨) التاج الأبيض هو تاج الجنوب (الصعيد)، والتاج الأحمر هو تاج الشمال (الدلتا)، والتاج الموحد هو تاج مصر الموحدة (الوجهين القبلي والبحري)، وكان يسمّى تاج "سختي"، أي: "القوتان". وهذه الجملة تعبر عن قيام هذا الملك بإعادة توحيد أقاليم مصر بعد صراع دام بينهما، وسيجيء بيان ذلك في متن البحث لاحقاً.

^(٤٩) الربان اللذان تشير إليهما الجملة هما: "حورس" و"ست"، اللذان عبداً في كل من الدلتا والصعيد على الترتيب، وفي ذلك إشارة أيضاً لوحدة مصر.

وعندما تهيأ "نفرتي" للرواية، مد الملك يده إلى صندوق أدوات الكتابة، وأخذ لفافة بردي ولوحة، ثم تهيأ لكتابة ما يرويه "نفرتي".

أما ما رواه "نفرتي" إلى الملك "سنفرو" (بحسب النص)، فقد كان التنبؤ له بأحداث مريرة ستقع في المستقبل، وبعد سرد الولايات التي عانت منها البلاد؛ نجد "نفرتي" في الختام يُبشر بقدوم ملك يدعى "أميني"، إشارةً إلى "أمنمحات الأول"، الذي سيحلّص البلاد من هذه الولايات (انظر خاتمة ترجمة النص). ومن ثم فإنه من ظاهر الأمور نجد أن كاتب تنبؤات "نفرتي" يصور أحداث النص على أنها وقعت أيام الملك "سنفرو"، أول ملوك الأسرة الرابعة (من الدولة القديمة)، ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي توظف فيها هذه الشخصية التاريخية في عمل أدبي ذي دوافع سياسية، وإنما سبق توظيفها أيضاً في عمل آخر، وهو النص الذي عرف شيوعاً باسم بردية "وستكار" التي تُعرف باسم بردية "خوفو" والسحرة^(٥٠)، والتي يعتقد أنها كتبت كذلك للدعاية لمقدم ملوك الأسرة الخامسة، تماماً على نحو ما كتب نص "نفرتي" دعاية لإضفاء الشرعية والتقبل الشعبي لاعتلاء الملك "أمنمحات الأول" عرش مصر، مؤسساً للأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى، والبردية محفوظة بمتحف برلين Berlin Pap. 3033. وعُرف فيها الملك "سنفرو" على أنه ملك طيب وخير في كل البلاد ومتحرر وراعي، وكانت صفاته التي ظهر بها فيها تؤسس لما شاع عنه من بساطه وصفاته التي ظهر بها في بردية "نفرتي". وهى الصورة التي رسمتها له كذلك ما جاء في تعاليم "كاجمى"^(٥١).

ولابد أن كاتب نص "نفرتي" تأثر ببردية "وستكار"، سواء من حيث توظيف الأدب كحيلة للدعاية السياسية، أم من حيث اختيار "سنفرو" دعامةً يتكىء عليها النص في إحدى فصوله الرئيسية، أو من حيث

^(٥٠) الملك خوفو هو ثاني ملوك الأسرة الرابعة التي حكمت مصر من عام ٢٩٠٠ حتى عام ٢٤٧٥ قبل الميلاد. انظر:

Beckearth, J.v: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 52, 158, 178.

^(٥١) هذه التعاليم موجهة إلى الوزير "كاجمى" أو "كايجمى"، الذي كان يخدم الملك "حوني" سادس ملوك الأسرة الثالثة، والملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة. وقد وجهت إليه مجموعة من الحكم والتعاليم التي أصبحت من من أهم قطع الأدب المصري القديم. ويقال أن الذي كتبها والده والذي يُدعى "كارس" وعى موجهة لأولاده وعلى الأخص ولده الأكبر "كاجمى". وتحتل هذه التعاليم الصفحات الأولى من بردية "بريس" Prisse التي ترجع للدولة الوسطى، وبعدها تأتي تعاليم "بتاح حتب" الذي عاش في الدولة القديمة. والتي تشبهها تماماً في إطار المواعظ الأخلاقية التي دأب الآباء على توريثها للأبناء، على نحو ما وعظ "لقمان" ابنه بما ينفعه في دنياه وأخراه.

ويختلف عن "كاجمى" أو "كايجمى" الشهير الذي كان طفلاً في عهد الملك جد كارس (إيسيس) ثامن ملوك الأسرة الخامسة وأصبح موظفاً في عهد الملك أوناس (ونيس) تاسع ملوك هذه الأسرة، ثم وزيراً في عهد الملك نيتي أول ملوك الأسرة السادسة: رمضان عيده السيد: معالم تاريخ مصر القديمة: منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد،

الإسكندرية ١٩٧٩م، ص ١٦٢. وانظر: Erman, A.: The literature of the Ancient Egyptians, pp. 6-7.

وعن النص المصري القديم بكافة النسخ التي عثر عليها من عصور عدة، انظر:

Devaud, E.: Les Maxims de Ptah-hotep, Fribourg – Suisse, 1916; Jequier, G.: Les Papyrus Prisse et ses variants, Paris, 1911.

وحكمت الأسرة الثالثة -التي ظهرت فيها هذه التعاليم- مصر من عام ٢٦٧٠ حتى عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد. انظر:

Beckearth, J.v: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 50-52, 158, 176-177.

البنية السردية للعمل الأدبي، خاصة فيما يتعلق بمشاهد مقدمة النص، ثم طريقة تأليف الخاتمة على نسق معين، بحيث تتضمن النبوءة، والتي هي الطريقة التي يتم بها وفيها التمهيد لشرعية الملك الجديد. فمفتتح نص "نفرتي" شبيه بافتتاحية قصص "خوفو" والسحرة، وافتتاحية كل قصة من هذه القصص، وذلك بالتقديم لمشهد ظهور الملك بين أقرب رجاله، سواء من الأمراء أو التابعين، وطلبه إحضار أحد الحكماء للتسرية عنه بالحكايات الممتعة والخرافة. وبعد ذلك يتم التحول إلى قلب النص، والذي يمثل الحكاية التي يدور حولها العمل بما يمثله من خصوصية حكائية، وذلك كله يسير بمنطق محكوم صوب النهاية، حيث المشاهد الختامية التي تتضمن وقائع النبوءة، وتتجسد فيها الدوافع السياسية الدعائية، والتي ساقط الكاتب لإنشاء هذا العمل الأدبي في ثوب خيالي فني لإخفاء مقاصده الحقيقية من جهة، ولبث التشويق في أثنائه ليقبل عليه المتلقون بلا سأم، فيسيرون - وفق الأسلوب السردى المحكم - صوب النهاية التي يرمى إليها المؤلف.

ولعل توظيف شخصية "سنفرو" بالذات - في هذين النصين - ما يدعو للتساؤل، إلا أن الجواب يفرض نفسه حين نتعرف على شخصية هذا الملك في ضوء الحقائق التاريخية التي تعكسها الوثائق الأدبية والآثار المادية.

كان "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة (وفقاً لتقسيم "مانيثون")، وجاء في برديّة "تورين" أنه حكم أربعة وعشرين عاماً^(٥٢). وقد كان ملكاً خيراً محبوباً، متحرراً واعياً، يتميز بالبساطة والتواضع؛ لذلك أظهرته الروايات الأدبية اللاحقة على عصره وهو يتصرف في بساطة مع الآخرين من حوله، ويناديهم بلفظ "أخي"، "وصديقي". فقد جاء في التعاليم الموجهة إلى "كاجمني" أن "سنفرو" كان يلقب بالملك (الخَيْرُ في كل البلاد)^(٥٣).

ولا غرابة أن يسترعي انتباهنا ما قرأناه في وثيقتنا عن الملك "سنفرو"، عندما يقول الكاتب أنه كان ملكاً محسناً فاضلاً، ثم عندما نجده يخاطب أحد رجال رعيته بقوله: "ياصاحبي"، أو عندما يخاطب رجال حاشيته بقوله: (يا إخواني)، أو عندما نراه ينزل من عليائه المكلية والإلهية فيقوم بعمل كاتب، وبدلاً من أن يأمر كاتباً بنسخ أحاديث "نفرتي"، نجده بسيطاً يأخذ من صندوقه - الخاص لأدوات الكتابة - قرطاساً من البردي وقلماً، ثم يخط بنفسه ما يملى عليه من "نفرتي" - الذي كان واحداً من عامة الشعب - لأنه كان ملك محب للعلم والعلماء ومجالسهم، في جلال الحكام وتواضع العلماء. إن كل هذه المشاهد لم تكن نراها في بلاط الملوك، وإن ملكاً يتصف بهذه الصفات، ويتحدث إلى أفراد من شعبه بهذه الوداعة، لخليق بأن يعدّ أول ملك شعبي في العالم^(٥٤). وخصه في مقدمة النبوءة بعبارات تستوقف المؤرخ والأديب الفطين، حيث أبرزت شخصيته متميزة عن فراعنة مصر، إذ يصعب أن يجد لدى الآخرين ما يفيد كثيراً في

(٥٢) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م.، سلسلة تاريخ

المصريين/٢٢٢، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٢٣٨.

(٥٣) رمضان عبده السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول: منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الانتقال الثاني، ص ٢٠٠.

(٥٤) سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٣٣٥.

وانظر كذلك: عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص ٣٥٠.

الكشف عن شخصية أى فرعون فى صورة واضحة وجليّة. ونجد فى نبوءة "تفرتى" أوصافاً ونعوتاً تختلف عن عقود المدح الرسمية المتشابهة والمتوارثة المحفوظة عن ظهر قلب، نتيجة نظمها وديباجتها التى يحرص على الالتزام بها الحاشية الملتفة حول الملك، والتى تدرجت فى الصعود بصفات الفرعون حتى جعلوه مؤلهاً، وجعلوا صفاته تخرج عن دائرة بنى البشر. وهذه المغالاة فى الأوصاف لم تقتصر فى مصر على عهد الفراعنة، بل نجدها فى كل عصور تاريخها، فالحاكم فيها ولو كان لا يصلح للحكم، إلا أنه يوضع فى مرتبه أعلى من مرتبة البشر الذين حوله، وهو حال متأصل فى كل بلاد الشرق عامة^(٥٥).

لذلك خلف "سنفرو" شخصية أسطورية، جسده فيها الأدب المصرى بطلاً اشتهر بكرمه الفياض. وفى الدولة الوسطى رُفِعَ إلى مصاف الآلهة، وأصبح نموذجاً للملك الكامل، حتى انتسب إليه عدد من الملوك، ليصبغوا الشرعية على سلطانهم، ومنهم "أممحات الأول" فى نبوءة "تفرتى"، حيث أصبح هذا العاهل - مع حلول الأسرة الثانية عشرة - نموذجاً للملك الحكيم الدمث الخلق، حتى بات شرف الانتساب إليه مفخرة ومصدر اعتزاز^(٥٦).

ولا غرابة فى أن نجد هذه المكانة للملك "سنفرو"، وقد كان عهده عهد قوة ورخاء، واستقرار وأمن، وإدارة رشيدة عادلة. وليس أدل على ذلك من أنه تلقب بلقب معبر، وهو: (نب ماعت)، أى: (رب العدالة). كذلك تميز النظام السياسى فى عهده باستحداث منصب الوزارة للمرة الأولى. ولقد توفر له بين قومه من مدلول لقبه (نب ماعت)، فاحتفظ له أدبهم الشعبى بذكرى عطرة قلما احتفظ بها لملك سواه. وتضمنت هذه الذكرى ثلاث روايات صورته جميعاً على نسق واحد، فوصفته بأنه ملك محسن فاضل، يحسن الاستماع، ويكتب بنفسه عن الأدباء، ولا يستحى أن يسأل فيما لا يعلم. كما صورته محباً للمرح والاستمتاع^(٥٧)، ولعلنا نكتشف قدراً من هذه الصفات من مدخل تنبؤات "تفرتى".

كما أنه لا غرابة فى أن نجد هذه المكانة للملك "سنفرو"، إذا ما علمنا أن عدد الأماكن التى سميت باسمه قد تجاوزت العشرين مكاناً، وقد عاشت بعد عهده بمدة طويلة. وجاء ذكره على صخور "سيناء"، وبعد أيامه، على أنه من الأجداد المبجلين الذين تقدمت فى عهده شئون التعدين، كذلك فقد نقش اسمه على صخور "سيناء" فى نصوص تؤرخ بالأسرة الثانية عشرة، وهو العهد الذى ذاعت فيه شعبيته بصفة

(٥٥) انظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الجزء الأول، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٥٦) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ماهر جويجاتي، مراجعة: زكية طوبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩١م، ص ٢٠٥.

(٥٧) انظر: عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص ١١١. وانظر أيضاً: عبد العزيز صالح، تاريخ العصور المصرية القديمة (الفرعونية) حتى نهاية الدولة القديمة، فى: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، تاريخ مصر القديمة، ألفه نخبة من العلماء، أعدها للنشر: عبد العظيم رمضان: سلسلة تاريخ المصريين / ١٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٦٦.

خاصة، حتى أن بعض ملوك هذا العصر قد جعلوا أهراماتهم بالقرب من هرميه؛ بل أن محبة الناس له - في هذا العصر - قد دفعتهم لتسمية أبنائهم باسمه^(٥٨).

ولعل اهتمام ملوك الأسرة الثانية عشرة إلى تكبير الناس بأمثال هذا الملك الخير - لتدل على اتجاه شعبي، وربما كانت غاية ملوك هذا الأسرة إيجاد طريقة مثلى تعينهم على إعادة بناء الملكية على أسس شعبية سليمة، والعمل على إقامة دولة تسعد الناس، ولا تقوم على أساس بيروقراطي، فلا تتحكم فى الناس، مثل ما حدث إبان حكم الملوك الذين جاءوا بعد "سنفرو"^(٥٩).

ويمكننا أن ننتبين من الآثار كيف تميز عهده بالحكم الرشيد، والعدل وتكافؤ الفرص، حيث لم تقتصر مظاهر الغنى والترف على آثاره والأسرة المالكة فحسب، وإنما دلت نصوص بعض الأفراد من الشعب على أن مجال الثراء والترقى فى المناصب الحكومية الهامة كانا متاحين للناهبين من أفراد شعبه. ومن هذه النصوص نصُّ رجل يدعى "مثن"، ذكر فيه أن لم يرث عن أبيه غللاً ولا أثاثاً، وإنما قليلاً من المدخرات والأتباع، وأنه بدأ حياته الوظيفية كاتباً، حتى تولى إدارة بعض أقاليم الوجهين القبلي والبحرى، إضافة إلى رئاسة عدد من المدن الكبرى. كذلك فقد ذكر "مثن" أنه كوفىء بإقطاعية واسعة من الأراضي، واستغل اثنتى عشرة ضيعة لحسابه، وشيد لنفسه دوراً أحاطت بها الحدائق الغناء، بلغت مساحتها حوالى عشرة آلاف متر مربع، إضافة إلى خمسين فداناً كان قد ورثها عن أمه. بل أن تقدير الدولة له لم يقتصر على شئون دنياه، إذ تعهدت الدولة بعد وفاته بقرابين خصصت لمقبرته، مقدارها مائة رغيف يومياً من معبد شعائر أم ولد الملك^(٦٠) التى ماعت حاب^(٦١).

وتأثر الأدب بشخصيته حتى بقيت أحداث عصره تقاليد قومية موروثية ليس مدعاة لإطلاق الشك وعدم الاعتماد عليها فى أن تكون نقلاً واقعياً لأخلاق الفرعون "سنفرو"، غير أنه من الصعب أن نعتبر هذه الميزات ووجه التفرد الذى ظهرت به شخصيته نتاجاً أدبياً لا يحاكي الواقع بعد أن نقل واقع المجتمع والأحداث التاريخية واهتماماته بمصادقية، خاصة وأنه قد توقف أمام ما هو غير مألوف عن أخلاق فراعنة مصر. وعلى أى الأحوال فإن التقاليد الشعبية الموروثة إذا لم تصل إلى منزلة الحقائق التاريخية فإنها تحتل بغير شك المنزلة التى تليها^(٦١).

ولهذا نجد نبوءة "نفرتى" تمثل انطلاقة وتحرراً من هذه المفاهيم التى عاشها الأدب فى مصر القديمة تعبيراً عن فكر أدباء "برباست"، حيث براعة الموضوع والكلمة والفهم والميل للشعب لتعميق مفاهيم وروح تُعزز الحب لحاكم شعبي، فقابل الشعب المصري هذه الروح الديمقراطية بطاعة وإخلاص، فبادل الملك "سنفرو" الحب بالحب، والاعتراف بالجميل، وأصبح هذا الحب ينتقل من جيل إلى جيل طوال التاريخ المصري القديم. وليس أدل على ذلك من أننا لا نجد ملكاً مصرياً قديماً تمتع بهذه المنزلة ممن أله الشعب وقُدس، وتحول إلى نوع من الفضل المنقوش فى ذاكرة الشعب، والرمزية العقائدية المتناقلة

(٥٨) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، الجزء الأول، ص ٢٤٧.

(٥٩) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٦٠) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص ١١٠.

(٦١) أنظر: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

كالتراث. واستمرت عبادته باقية منتشرة في عدد من أسماء المدن المصرية حتى حكم البطالمة، بتركيب اسمه تركيباً مزجياً في أسماء كثير من المدن المصرية، وما كان ذلك إلا لعظم تقديسه واحترامه^(١٢). وتبقى حقيقة مهمة وهي أن مدينة "برباست" وأديبها الحكيم البارع "نفرتي" قد ارتبط في الأدب بشخصية الملك "سنفرو"، ليكون وسيلة لإصباغ المصدقية والواقعية، ليضرب مثلاً للحاكم الجديد الذي كانت تتطلع إليه البلاد وقتئذ، ويبدو جلياً أن حكيمنا البوبسطى قد تحدث عن الملك "سنفرو" في وعى بشخصيته ومكانته، وأنه قد قصد تقديم الملك في هذا العمل وتصويره بهذه الصورة المحببة إلى قلوب المصريين، وبمنظر مألوف عنه في كل عصور التاريخ المصري، بعد أن عانى الشعب الولايات من احتجاج الحكام عن الرعية، بينما كانت الفوضى تضرب البلاد^(١٣) من أقصاها إلى أقصاها. وهذا نجده بوضوح عندما نطالع المتن الرئيسي من تنبؤات "نفرتي"، والتي تقدم الكوارث التي حلت بالبلاد، وتقدم "أمينى" - أو "أمنحات الأول" - باعتباره المنقذ المنتظر، والذي سيدرأ الفتن، ويعيد النظام، ويقمع الظلم، ويرسخ العدالة.

ذلك هو الملك الطيب "سنفرو"، وتلك هي الدلالة العميقة في توظيف شخصيته في هذا العمل في ضوء الحقائق التاريخية، ومن ثم علينا أن نفر ببواعث توظيف هذه الشخصية، وبنجاح الكاتب في انتقاء شخصيات العمل الأدبي، لإضفاء جو من الدلالات التي تستدعيها الذاكرة الشعبية المصرية الحافلة بالتراث، تلك الذاكرة الواعية التي لا تنسى أفاضل أمتها، فيعيشون في أعماقها مدى التاريخ، بنفس القدر الذي لا تنسى فيه مرارة الذكريات في ظل حكم جائر، وعبث بوحدها، وسلامها الاجتماعي.

ثانياً: شخصية الملك "أمنحات الأول"،

ودلالة توظيفها في النص

وتخطو شخصية الملك "أمنحات الأول" خطواتها الأولى بما قاله "نفرتي" للملك "سنفرو"، حيث تنبأ له بأحداث مريرة ستقع في المستقبل، حيث تحدث عن ثورة ستقوم في مصر، وعن خراب سيحل بالبلاد، وفوضى عارمة سوف تعم كافة الأنحاء^(١٤). وبعد سرد الولايات التي عانت منها البلاد من فوضى وفزع، وقتل وتخريب، وسلب ونهب، واستباحة لأرضها من الأجانب، وغياب للأمن، وترد للحالة الاقتصادية؛ نجد "نفرتي" في الختام يُبشر بقدم ملك يدعى "أمينى"، إشارة إلى "أمنحات الأول"، يخلص البلاد من هذه الولايات، فينشر الأمن، ويعم الرخاء، ويتحقق العدل، وتتحسر الفوضى بسحق المتآمرين والفاستدين، ويسعد أهل مصر بحكمه، ويدينون لطاعته (انظر خاتمة ترجمة النص).

وعلى الرغم أن "نفرتي" كاتب البردية أرجع أحداثها إلى إلقائها في حضرة الملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة، إلا أنه يكاد يتفق العلماء على أنه وضع تمثيلى لإصباغ قوة التأثير على كلمات

^(١٢) سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٣٣٥.

^(١٣) سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، ص ٣٣٦.

^(١٤) محمد جمال الدين مختار: العصر المتوسط الأول (١٠-٧) ٢٢٠٠ ق.م - ٢٠٤٠ ق.م (تقريباً)، في موسوعة تاريخ

مصر عبر العصور - تاريخ مصر القديمة، ألفه نخبة من العلماء، أعدها للنشر: عبد العظيم رمضان: سلسلة تاريخ

المصريين / ١٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٢٨.

"تفرتى"، وأن هذا النص قد كتب فى بواكير عهد الملك "أمنمحات الأول"، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى، وذلك لأمرين:

أولهما: أن الهدف الواضح من النص كان الدعاية للتبشير بظهور الملك "أميني"، الذى استنتج العلماء أنه الملك "أمنمحات الأول".

وثانيهما: أن الأحداث التى ذكرت فى النص للاستبشار بمجيء "أميني" لا يمكن أن تنطبق إلا على عهد الملك "أمنمحات الأول"، وذلك بمختلف الملاحظات التاريخية السابقة أو المتزامنة مع عهده. وأن هذا النص إنما جاء بأسلوب النبوءة، وبالنسبة إلى عهد ملك يسبق "أمنمحات" بعدة قرون، ليكون بمثابة دعاية مصاحبة لمقدم هذا العاهل إبان اعتلائه عرش مصر فى ظروف غامضة، إذا أنه لم يكن من السلالة الحاكمة، ولكن واحداً من أبناء الشعب.

لقد كان الأديب البوبسطى واثقاً من أن بطله "أمنمحات" سيستولى على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة (مصر السفلى ومصر العليا)، وأنه سيفتح عصراً جديداً، غير أنه أرجأ الإصلاح العظيم بصفة عامه إلى المستقبل، وهو ما يفتح المجال للبحث عن أن هذا التأكيد القوى مجرد نبوءة صدقت ما قررته عن حادثة قبل وقوعها؟، وهل كان هذا إعلاناً يتم عن الظفر يلقاه بطل منتصر قد نجح نجاحاً عظيماً فى إصلاح مصر العليا، حتى أن انتصاره النهائى وإصلاحه لكل مصر كان متوقفاً حدوثه؟ أم كان "تفرتى" مرسلأ من قبل "أمنمحات" إلى مصر السفلى ليعلن قدومه إليها؟، أم أن "تفرتى" كان أديباً من أنصار "أمنمحات" قد عظم إصلاحاته، فصوره بصورة تبرزها إذا قاسها بما صارت إليه البلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه؟^(٦٥).

ويرى "أحمد بدوى" أن "أمنمحات" قد أعمل الفكر فى محاربة عدوه قبل أن يُعمل السيف، واستعان بما هداه إليه تفكيره فى كسب قلوب الحكام، وإتباع السماحة، وعندما عزم بلوغ العرش، أخذ يتزود لرحلته هذه بكل شئ، ولم يفته أن يتزود بسلاح الروح والعاطفة، فنشر على الملأ أسطورة قوامها نبوءة نسبها لنبيئ يدعى "نفر روهو"^(٦٦).

ويرى "نيقولا جريمال" GRIMAL, N. أنه قد اعتمد العاهل الجديد على الأدب للترويج للبراهين التى تثبت حقه الشرعى فى وراثة العرش، شأنه فى ذلك شأن أسلافه من ملوك الأسرة الخامسة، واعتمد على أدب النبوءة وصولاً لغرضه فى قصة تحذيرية تروى على لسان الحكيم "تفرتى" أو "نفر روهو". ودلل على هذا بأنه يوجد العديد من النقاط المشتركة بينه وبين "جدى" الذى ورد ذكره فى بردية "وستكار" كما سبق أن ذكرنا. وتقع أحداث هذه القصة على ما يزعم فى عهد الملك "سنفرو" الذى استدعى "تفرتى" إلى بلاطه تماماً كما حدث ل "جدى". أما الدوافع التى تحكمت فى اختيار "سنفرو" فى كلا القصصتين فليست واحدة أو متماثلة. وقد أضحى العاهل العجوز مع حلول الأسرة الثانية عشرة نموذج الملك الحكيم الدمث الخلق. حتى بات شرف الانتساب إليه مفخرة ومصدر اعتزاز. ويرسم "تفرتى" لوحة قاتمة عن

(٦٥) انظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الجزء الأول، ص ٣٣٧-٢٣٨.

(٦٦) انظر: أحمد بدوى: فى موكب الشمس، الجزء الثانى، القاهرة ١٩٥٠م، ص ٩٣.

آخر أيام حكم الأسرة الحادية عشرة. ومن الغريب حقاً أنها تخص مناطق الدلتا الشرقية في المقام الأول، وفي ختام روايته يتنبأ بمجيئ "أممحات" الذي يلقبه "أميني". ورأى أنه قد تكرست شرعية انتقال السلطة من "هليوبوليس" مهد ملوك الدولة القديمة إلى "طيبة"^(٦٧). ويؤكد على هذا ما ورد في البردية: "ولن يكون إقليم "عين شمس" (حقا - عج) أرضاً ومقراً لأيِّ إله. وسيأتي ملكٌ من الجنوب، اسمه "أميني" (أموني) صادق الصوت، وهو ابنُ امرأةٍ من "تاستي" (النوبة)، وهو مولودٌ منسوبٌ لمقر الملك (في) "نخن". وسيستلم التاج الأبيض، وسيحمل التاج الأحمر، وسيوحد التاجين"^(٦٨)، وسيريح (بُرضي) الربيين بما يحبان".

وكذلك يرى "عيد العزيز صالح" أنه قد استخدم أهل الدعاية في عهده تنبوءات "نفرتي" ليظهروا فرعونهم الجديد لأفراد شعبه في هيئة المنقذ، وأن يوهمهم بأن العناية الإلهية قد تخيرته منذ الأزل. وأن المتنبئين بشروا به منذ عهد "سنفرو"، أي قبل مولده بقرون طويلة^(٦٩).

وليس سبب تولى "أممحات" العرش هو النبوءة، ولكن الظروف التاريخية - في ذلك الوقت - التي حتمت مثل هذه المحاولة الأدبية المحبوبة لإقناع الشعب به، في وقت انفرط فيه عقد الوحدة بين أقاليم مصر، ولم يكن من الممكن - حينئذٍ - إقناع الشماليين بملك من الجنوب، أو إقناع إقليم ما بملك ينتسب إلى إقليم آخر، أو إقناع بيت من البيوت الحاكمة برجل من بيت حاكم آخر.

لذلك لم يكن "أممحات" وحده بحاجة لمثل هذه النبوءة، بل أن الظروف المحيطة بالحكم كانت تحتم محاولة إقناع الشعب بملك جديد له من المؤهلات ما يمكنه من فرض النظام العام، وتحقيق الأمن والرخاء لبلد أنهكتها الفوضى، وعم بها الدمار.

وحتى نتصور الملابس التاريخية لظهور مثل هذا النص - في التوقيت الذي ظهر فيه إبان حكم "أممحات الأول" - علينا أن نرجع بالذاكرة التاريخية للفترة السابقة على الأسرة الثانية عشرة؛ ولسنا نعني الأسرة الحادية عشرة، وإنما ما قبل ذلك أيضاً.

وباعتقادنا أن الأحداث التاريخية الرهيبة - المشار إليها في النص - إنما تشير لعصر الانتقال الأول^(٧٠)، والذي شهدت مصر فيه أحداثاً جساماً^(٧١)، وصفها "حسن السعدي" بالحرب الأهلية^(٧٢)، وكان

(٦٧) انظر كذلك: نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص ٢٠٥.

(٦٨) التاج الأبيض هو تاج الجنوب (الصعيد)، والتاج الأحمر هو تاج الشمال (الدلتا)، والتاج الموحد هو تاج مصر الموحدة (الوجهين القبلي والبحري)، وكان يسمّى تاج "سختي"، أي: "القوتان". وهذه الجملة تعبر عن قيام هذا الملك بإعادة توحيد أقاليم مصر بعد صراع دام بينهما، وسيجيء بيان ذلك في متن البحث لاحقاً.

(٦٩) انظر: عيد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص ١٧٣.

(٧٠) "عصر الانتقال الأول"، أو الأسرتان التاسعة والعاشر (٢١٦٠-٢٠٢٥ ق.م. تقريباً) هو الفترة التاريخية الواقعة بين فترتين من أخصب المراحل الحضارية في تاريخ مصر القديم، أي بين الدولتين القديمة والوسطى. إلا أن هذه الفترة تعد من أسوأ فترات التاريخ المصري القديم، نظراً للصراعات الكبيرة التي دبت بين حكام الأقاليم، وما شهدته مصر من فوضى وقتل وتخريب، وسقوط حضاري لم تشهد له البلاد مثيلاً. وتفصيل ذلك في متن البحث، ويشير إليها النص بوضوح في الفقرات المتتالية لحديث "نفرتي".

محققاً في ذلك، حيث شهدت هذه الفترة صراعاً طويلاً بين بيتين كبيرين حاكمين، أحدهما في "إهناسيا"، والآخر في "طيبة".

ويُفصّل "حسن السعدي" هذه المأساة ببداية الأسرة التاسعة، حيث بسط حكام "إهناسيا" (٧٣) نفوذهم على شطرى البلاد فترة مؤقتة، حتى شعر حكام إقليم "طيبة" (٧٤) في الأسرة العاشرة بأحقيتهم في ملك مصر، فبدأت رحى الصراع الطويل تدور، وتطحن مقادير البلاد (٧٥).

وشهد هذا الصراع تحالف "طيبة" و "قفط" (٧٦) ضد "إهناسيا"، بينما تحالف "الإهناسيون" مع حاكم "تخن" (الكاب) (٧٧)، وبسطوا نفوذهم على "إدفو" (٧٨). ليس ذلك فحسب، بل شارك حاكم "تخن" في اندلاع الشرارة الأولى للحرب الأهلية في صعيد مصر، والتي كادت أن تأتي على الأخضر واليابس. فقد ساند حكام "أرمنت" (٧٩) المعادين لطيبة، ثم هاجم "طيبة" ذاتها، إلا أنه خسر الحرب، فاستطاع المنتصرون من "طيبة" ضم إقليمه إلى إقليمهم، فتقلص النفوذ الإهناسي (٨٠).

(٧١) وهناك نص آخر أكثر شهرة، وأكبر دلالة على أحداث عصر الانتقال الأول، ويعرف بتحذيرات "إيبو-ور" وفيه تفاصيل الأحداث الجسيمة لهذا العصر. وللمزيد من التعرف عليها، يمكن الرجوع لترجمة النص، في: كلير لاوليت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ص ٢٩١-٣٠١. وعن النص المصري القديم وترجمته وتحليله الكامل انظر: Gardiner, A. H.: The Admonitions of an Egyptian sage, Leibzig 1905.

(٧٢) حسن محمد محيي الدين السعدي: نصوص وقراءات مختارة في التاريخ القديم والحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.

(٧٣) "إهناسيا" إحدى مدن محافظة "بني سويف"، تقع على بحر يوسف، وكانت عاصمة للإقليم الحادي والعشرين من أقاليم الوجه القبلي؛ كما كانت عاصمة لمصر في عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة، إبان فترة الصراع بين بيت "إهناسيا" وبيت "طيبة" لتوحيد قطري مصر أثناء عصر الانتقال الأول، انظر: عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ١٨١.

(٧٤) "طيبة" هي "الأقصر" الحالية كمدينة، لكنها كانت واحدة من قرى أربعة ضمها إقليم "طيبة" القديم المسمى "واست"، وهو الإقليم الرابع من أقاليم مصر العليا (الوجه القبلي). أما القرى الثلاث فهي: (أرمنت، والطود، والميدامود)، إلا أن "طيبة" بحكم موقعها ومكانتها أصبحت عاصمة للإقليم. انظر: عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢٣٥-٢٤٤.

(٧٥) حسن محمد محيي الدين السعدي: نصوص وقراءات مختارة في التاريخ القديم والحضارة، ص ١٤٠.

(٧٦) "قفط" إحدى مدن محافظة "قنا"، تقع على بعد حوالي ٢٥ كم شرق "دندرة" انظر: عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢٣٠-١٣١.

(٧٧) "الكاب" تقع على بعد حوالي ٢٢ كم شمال "إدفو"، وكانت تعرف باسم "تخب"، وكانت عاصمة الوجه القبلي قبل توحيد قطري مصر. واسمها مشتق من اسم المعبودة "تخب" أو "تختب" التي كانت رمزاً للصعيد كله. أما "تخن" ضمن إقليم "الكاب" فهي "الكوم الأحمر" حالياً. انظر: عبد الحلیم نور الدين، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢٤٩-٢٥١.

(٧٨) "إدفو" إحدى مدن محافظة أسوان، وكانت عاصمة للإقليم الثاني من أقاليم مصر العليا (الصعيد). عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢٥٢.

(٧٩) "أرمنت" ضمن محافظة قنا، تبعد حوالي ١٢ كم جنوب غرب الأقصر. انظر: عبد الحلیم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢٤٥.

(٨٠) حسن محمد محيي الدين السعدي: نصوص وقراءات مختارة في التاريخ القديم والحضارة، ص ١٤٠.

ولم ينته الصراع إلى هذا الحد، فقد تواصلت الحرب التي ازداد فيها تفوق حكام "طيبة"، وخسر البيت الإهناسي مزيداً من الأقاليم، على رأسها إقليم "أبيدوس"^(٨١). إلا أن الإهناسيين استطاعوا استرداد "أبيدوس" من قبضتهم، ولكن بعد تخريب عدد من المقدرات بها، وهو الحدث الذي اعتبره الملك "خيتي" الثالث في نصائحه الشهيرة لابنه "مريكارع"^(٨٢) حدثاً يستوجب العقاب، وكراتةً اقترفتها يدها تستوجب الغفران. أما آخر مراحل الصراع، فقد قادها الحاكم الطيبي "منتوحوتب الأول" ثانياً ملوك الأسرة الحادية عشرة^(٨٣)، فبدأ بإسقاط إقليم "أسيوط" في قبضته، ثم اجتاحت "إهناسيا" لإسقاط الأسرة العاشرة، واستطاع أن يواصل اكتساحه شمالاً حتى بسط سيطرته على الدلتا.^(٨٤)

وقد بات واضحاً أن الأمر لم يكن مجرد صراع أقاليم في ذهن أمير "طيبة" المنتصر، بل أصبح نواة لحركة جديدة لتوحيد مصر تحت لواء ملك جديد، هو مؤسس الأسرة الحادية عشرة، ومؤذناً بمرحلة مشرقة جديدة في تاريخ مصر، ألا وهي "الدولة الوسطى"^(٨٥)، والتي بلغت أوج قوتها وازدهارها في عصر الأسرة الثانية عشرة، والتي كان على رأسها الملك "أمنمحات الأول"، أو "أمني"، المبشر به في نبوءة "نفرتي".

^(٨١) "أبيدوس" تتبع مركز "البلينا" بمحافظة سوهاج، وتقع على حافة الصحراء الغربية، وتشمل قرى: (العراية المدفونة، وبني منصور، والغايات). وكانت هي العاصمة الدينية للإقليم الثامن من أقاليم مصر العليا، وتمتعت بمكانة دينية كبيرة عبر عصور التاريخ المصري القديم. وانظر: عبد الحليم نور الدين، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ٢١٨-٢٢٠.

^(٨٢) وهو سادس ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة، واللذين حكمتا مصر خلال الفترة من عام ٢١٦٠ حتى عام ٢٠٤٠ قبل

الميلاد، انظر: Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 61-62, 159, 190-192. وهو آخر ملوك "إهناسيا" (هيراكليوبوليس) العظام. اتسمت سياسته الداخلية بقدر كبير من الحكمة، إذ أعاد تشكيل التنظيم الإداري للبلاد، وقسمها إلى أقاليم تحت سلطة العاصمة، وأعاد تطهير قنوات الري، وعمّر شرقي الدلتا بالمستوطنين. ومريكارع ابنه هو آخر ملوك الأسرة العاشرة، انتهى حكمه في عام ٢٠٤٠ قبل الميلاد، وأشهر اسمه واسم والده التعاليم المنسوبة إليه، والتي ربما تكون مكتوبة بيد والده "خيتي الثالث" أو بواسطة أحد من المؤلفين إبان عهد ابنه "مريكارع"، رغم عدم ذكر اسمه فيها صراحةً، إذ قيل أن هذه التعاليم موجهة للملك "مريكارع" وهو أمير. وربما يكون "مريكارع" مؤلفها، أو الأمر بتأليفها ونسبتها إلى والده ليبرر بها سياسته. وعلى أية حال فهذه التعاليم عبارة عن توجيهات من الأب إلى الابن لضمان تحقيق النجاح في الحياة، فما دام الابن خليفة أبيه، فعليه أن يعظه ليقنفي أثره على النظم التي أقامها في المنصب أو العمل الذي ورثه بدوره عن أسلافه. وبالرغم من تضمن هذه التعاليم لعدد من الحكم النمطية، إلا أن من أبرز سماتها نظرتها الناقية لخصائص مهام الملك، والتي تُعتبر من أهم المصادر لدراسة حالة مصر في أواخر عصر الفترة الأولى، كما تعكس المفاهيم والعلاقات الجديدة على الفكر المصري، التي أنتجت الثورة الاجتماعية التي حدثت في ذلك العصر: انظر: جاب الله على جاب الله: مريكارع، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديم وآثارها، المجلد الأول، ج ١، القاهرة ١٩٧٣م، ص ٣٦٧.

وكذلك انظر: نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: زكية طبوزاده، دار الفكر العربي للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٨٦-١٨٨. وعن الترجمة الكاملة للنص انظر: كليبر لالويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ص ٦٨-٧٤.

^(٨٣) وهي الأسرة التي حمت مصر خلال الفترة من عام ١٩٩٤ حتى عام ٢٠٤٠ قبل الميلاد، انظر: Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 63-65, 159, 193-196.

^(٨٤) حسن محمد محيي الدين السعدى: نصوص وقرارات مختارة في التاريخ القديم والحضارة، ص ١٤١.

^(٨٥) حسن محمد محيي الدين السعدى: نصوص وقرارات مختارة في التاريخ القديم والحضارة، ص ١٤١.

إذاً يمكننا الآن أن نتصور أن هذه الأحداث المريرة كانت محفورة في وجدان المصريين، ولم يكن من السهل أن تمحوها فترة الاستقرار والوحدة إبان عهد الأسرة الحادية عشرة، السابقة مباشرة على مجيء "أميني"، أو "أمنمحات الأول". فربما كان شبح هذه الحرب الأهلية الضروس يخيم على البلاد، برغم ما نعمت به من الوحدة عدة عقود من الزمان.

ومن ثم فإن الأحداث التي يذكرها "نفرتي" إنما تشير إلى أحداث عصر الانتقال الأول (الأسرات ٨-١٠)، وذلك لإظهار ضرورة الامتثال للملك "أمنمحات الأول"، باعتباره مختاراً من الأقدار بنبوءة حكيم عاش من قبل الملك بعدة قرون، مع التلويح بعواقب أحداث واقعية محفورة في ذاكرة الشعب، وكأنه يحمل الناس على التسليم بما ترمي إليه النبوءة، بعد التصديق بأحداثها التي وقعت فعلاً في الزمن الماضي، لكنها نسبت للزمن الماضي الأبعد على أنها من أحداث المستقبل.

نعم كان تقديم هذا النص (في هيئة النبوءة) أمراً تحتمه الظروف، ويؤكدُه النسب غير الملكي "الأميني"، لذلك نجد أن الحكيم "نفرتي" يذكر صراحةً أن الملك الجديد ليس من سلالة البيت المالِك القديم، وذلك أمر لم يكن خافياً على أحد ليخفيه الكاتب أو يدعى خلفه، ما دام الصراع على العرش وارداً في ظل وجود مطالبين به، أو مدعين بأحقيتهم له^(٨٦).

وإذا كنا لا نعرف تماماً كيف وصل "أميني" إلى العرش، وعما إذا كان قد لجأ إلى القوة أم لا، إلا أنه لم يكن أمامه بُدٌّ للتمهيد لذلك الحدث، فقد كان بعيد النظر، صاحب ثقافة رفيعة، ذكياً بليغاً، واسع الأفق، على معرفة بطبائع الناس، وآمالهم وآلامهم^(٨٧)، وذلك ما نلمسه من خلال نبوءة "نفرتي" التي عبرت أصدق تعبير عن وعى كاتبها بهوم الناس، وأحلامهم، ومخاوفهم، ورغبتهم في الخلاص من المهالك المحدقة بالبلاد.

ويرى "عبد الحميد زايد" أن هذه النبوءة - بلا شك - كانت من وضع الملك نفسه، ويصفه بأنه لجأ إلى الحيلة، واعتمد على سلاح التأثير الخيالي في عصر كثر فيه الإيمان بالخيال، وامتاز بالأدب والثقافة. وهذه النبوءة - في موضوعها - ميثاق وعهد من حاكم وصل إلى عرش البلاد وهو من أفراد الشعب، في فترة قلق واضطراب، وفقر وبؤس، فطلع على الشعب بهذه الصورة ليخلصهم، وعاهدتهم، وقد وفقه الله، وحقق أمانى الشعب وآماله^(٨٨).

وبعيداً عن شرعية حكم الملك "أمنمحات" الأول، فإنه تبقى حقيقة تتكشف من البردية، وهي عن وجود سبب قوى يدعوننا للاعتقاد بأن "نفرتي" أو "نفر روهو" كان حقيقة محاطاً في زمنه بالخراب الذي صور له لنا، وأن تاريخ حياة "أمنمحات" الذي كان رائد النجاح في مصر العليا قد جعل الأمل بنجاحه في إعادة البلاد إلى ما كانت عليه، وإرجاع مجدها القديم متوقفاً^(٨٩).

(٨٦) انظر: سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثالث، ص ١٧٥.

(٨٧) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٤٤١.

(٨٨) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٤٤٣.

(٨٩) انظر: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة الجزء الأول، ص ٣٣٨.

وأياً ما كان من أمر، فذلك هو "أمنحات الأول" الذى كان رجلاً عصامياً من الشعب، رفعه ذكاًؤه وجده وحسن إدراكه للأمور إلى المكان الذى يستحقه، وإن لقي كثيراً من المصاعب لإضفاء الشرعية على حكمه، بمحاولة إقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر هو أمرٌ أرادته السماء منذ أبعد الأزمنة^(٩٠). فالفقد علم "أمنحات الأول" -بنظره الثاقب- أن الشعب لم يكن ليتقبله بسهولة، وهو النوبي الأصل من عامة الشعب. وكان مدركاً أن الشعب المصرى كان يميل بطبعه إلى التمسك بأهداب القديم، ويحافظ على ما وجد عليه آباءه وأجداده، خاصة فيما يتعلق بالسلالة الحاكمة، ومرتبها المقدسة. لذلك لم يعتمد على القوة وحدها في تثبيت أركان عرشه، بل لجأ إلى استمالة أبناء الشعب من متقفين وغير متقفين، فأذاع نبوءة "نفرتى" بين الناس لتبشيرهم بأن الولايات التي حاقت بالبلاد ستجاب على يد رجلٍ عظيم يصلح عوجها، ويبرئ بحكمته عللها، وهو المخلص المنتظر "أميني"، فأمن بذلك الدهماء لأنها نبوءة حكيمٍ من قديم الزمان؛ وآمن بها المتقفون -كذلك- لأنها كتبت بأسلوبٍ يأخذ بمجامع القلوب، فى عصرٍ احتل فيه الأدب مكانةً رفيعة بفضل النابهين من الكتاب الذين صوروا -بعمقٍ وأسلوبٍ مؤثرٍ رصينٍ- حالة البلاد بما انطوت عليه من البؤس والفقر، فكان ظهور هذا المخلص المنتظر -وفقاً للنبوءة- يعد رحمةً عند الجميع^(٩١)، وإرهاصةً ببدء عصرٍ جديد، عصر الرخاء، والأمن، والعدل، والسلام.

وهذا الابتهاج الذى اكتنف "نفرتى" وترقبه للأخلاق ولنصرة الشعب لم يتحقق، حيث جاء "أمنحات" وهو من كبار الإداريين فى العالم القديم، بفطنته، وأعاد ذلك النظام القديم بقدر ما سمحت له الأحوال، وتخبر عماله وموظفيه لإدارة شؤون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا فى الانهيار الذى جاء عقب عصر الأهرام، فأحبوا الفوضى والفساد، مما نتج عنه قتله وتوجيهه نصيحته لابنه بعد موته بألا يعتمد على أحد^(٩٢).

ثالثاً: الأديب "نفرتى"

وموطنه (برباست وهليوبوليس وشرق الدلتا)

وكان "نفرتى" مؤرخاً بارعاً حيث أهتم بأركان العملية التاريخية الثلاثة، وهى الإنسان والمكان والزمان. وسبق أن أوضحنا الأشخاص الذين يدور حولهم الموضوع، ثم العصر الذى تناولته البردية بالنسبة للملكين "سنفرو" و"أمنحات الأول"، ثم المكان الخاص بكل منهما وهو أرض مصر. وأضاف إلى هذا الجانب دليلاً آخر لتأكيد صدق نبوءته كمصدر للتأريخ لموطن الأديب نفرتى، وهو "برباست" مدينته، وهليوبوليس القريبة منها، ثم منطقة شرق الدلتا التى يعيش فيها.

وورد فى النص عن الأديب "نفرتى": "إنه حكيمٌ الشرق، المنتمي إلى "باست، عند شروقها، وهو أحد أبناء "عين شمس" (حقا - عج)، والذى تم إحضاره فور وصوله للملك. ومن ثم يتضح أن الأديب ابن "برباست" وابن "عين شمس". ولهذا نجد "تيفولا جريمال" GRIMAL, N. يقول: أنها قصة تحذيرية

(٩٠) أحمد فخري: مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢١٧.

(٩١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثالث، ص ١٧٠-١٧١.

(٩٢) انظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الجزء الأول، ص ٣٣٩.

تروى على لسان أحد حكماء مدينة هليوبوليس يدعى نفرتى"، ثم يعود ويقول: "لقد شيد "أممحات الأول" العمائر فى "بوابستس" حيث كان "نفرتى" كاهناً. ويفتح هذا الشك حول المدينة التى ينتمى إليها الأديب "نفرتى"، هل هى "برباست" أم "هليوبوليس"، خاصة وأن المعبودة "باست" قد عبدت فى "هليوبوليس" (٩٣)، مثلما عبدت فى أماكن عديدة فى مصر القديمة وخارجها، وخصص لها فيها مراكز عبادة و كهان (٩٤). غير أنه بقيت "برباست" المعروفة (بواسطة) مركز عبادتها الرئيسى طوال عصور مصر القديمة (٩٥).

وباست هو اسم المعبودة "باست" *B3st* (القطعة)، والتى عندما يسبقها كلمة "بر" *pr* فإنها تكون "برباست" والتى تعنى "مدينة باست"، أو المعبد الخاص ب"باست"، وعُرفت فى العصور المتأخرة باسم بوبسطة، والتى تشغل أطلالها المكان المعروف الآن باسم "تل بسطة" الموجودة إلى شمال شرق مدينة الزقازيق. وعلى الواجهة الشمالية لبوابة معبد الملك "بيبي الأول" ثالث ملوك الأسرة السادسة فى المدينة (٩٦)، ويقف الملك أمام المعبودة باست وهى تعطيه الحياة، وكتب اسم المعبودة ليشير لاسم المدينة. وقد تم كتابة اسم المدينة بشكل مختلف عن هذا فى العصور التالية حتى نهاية العصور الفرعونية، غير أنه قد احتفظ الاسم بدلالة أنها مدينة القطعة أو بيت القطعة (٩٧). وهذا يوضح أن الأديب قد كان دقيقاً فى تسميته لمدينة "برباست" بما يتفق مع ما عرفت به فى الدولة القديمة، وأن التسمية كانت نابعة من لغة وحياة المصريين الذين عاصروا زمن حديث الأديب "نفرتى" أمام الملك "سنفرو".

وجاءت بردية "نفرتى" بإشارة مهمة تعكس صدق الجوانب التاريخية فى البردية بالنسبة ، حيث ظهرت العلاقة بين عين شمس (هليوبوليس) -المعروفة قديماً باسم "أون" -المعروفة الآن فى منطقة المطرية فى شمال القاهرة- ومدينة "باست"، حيث يفهم من النص أن الأديب "نفرتى" ينتمى إلى "باست"، وأنه أحد أبناء "عين شمس" (حقا - عج). وأنها قريبة منها حيث تم إحضاره فور وصوله للملك. حيث أن

(٩٣) انظر: El Kordy, Z.: La Déesse Bastet, Depuis les temps les plus reculés de l'histoire, jusqu'à la fin du Nouvel-Empire, Université du Caire 1978, pp. 6-7 .

(٩٤) انظر: El Kordy, Z.: La Déesse Bastet, Depuis les temps les plus reculés de l'histoire, jusqu'à la fin du Nouvel-Empire, pp. 6-105.

(٩٥) انظر عن "برباست" كمركز رئيسى للمعبودة باست: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها -خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤م، ص ١٣٤-١٧٥.

محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال الدولة الحديثة (الفرعونية) (١٥٥٠-١٧٥٠ ق.م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩م، ص ٣٧٢-٤١٢.

(٩٦) وهى الأسرة التى حمت مصر خلال الفترة من عام ٢٣٤٥ حتى عام ٢١٩٥ قبل الميلاد، انظر عن الملك بيبي الأول: Bekearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 116, 164, 238.

(٩٧) انظر عن كتابة اسم المدينة منذ الدولة القديمة: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها -خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، ص ٣٩-٤٧.

محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال الدولة الحديثة (الفرعونية) (١٥٥٠-١٧٥٠ ق.م)، ص ٢٦٥-٢٨٠.

"برباست" كانت جزءاً من إقليم "هليوبوليس"، حيث لم تظهر في أى قائمة من قوائم العصر الفرعوني، وكان أول ذكر لها في قائمة بطلميوس الثانى^(٩٨).

وهذا الارتباط الذى ظهر بين الملك "أمنمحات الأول" و برباست، فكان لهذا الفضل الذى أسدته إليه المدينة ما جعله يسارع بتقديم ما يتناسب و جلال معبودتها و علمائها، فقام بتشييد معبد فيها، أشار له نقش عُثر عليه متبقياً بين أنقاض معبد نكتانبو الثانى ثالث ملوك الأسرة الثلاثون^(٩٩)، وجاء فيه قوله:

hr whm mswt nbtj whm mswt nswt bity (shṭp ib R^c) ir.n.f(m) mnw.f n mwt.f B3stt ir. n sb3 m

" حور، مكرر الولادة، المنتسب للربتين (ربتى الشمال الجنوب) مكرر الولادة، ملك مصر العليا والسفلى، (سحتب ايب رع) (أمنمحات الأول)، هو صنع كأثر له لأمه باستت (عبارة عن) بوابة....." ^(١٠٠).

حيث حاول أن يكون واحداً من ملوك مصر الفرعونية الذين حرصوا على إقامة المعابد والاحتفالات فى "برباست" ^(١٠١).

وهذه الشهرة والمكانة العلمية المرموقة التى ظهر بها أديب برباست "نفرتى" وقدراته الأدبية الكبيرة كانت انعكاساً طبيعياً لشهرة المدينة ومنتقياً، حيث عُرفت خلال عصور مصر القديمة بأنها مدينة الثقافة والعلوم والفنون، واشتهرت جامعتها القديمة "البر عنخ" و مكتبتها العريقة "الحن"، اللتان قصدهما العلماء، وتفاخر بالدراسة فيهما من تخرج منهما، وضمت معابدها أمثلة من أجمل وأعظم آيات الفن المصرى القديم فى مدينة الفن والفكر والسياسة والأدب والجيش ^(١٠٢).

^(٩٨) انظر عن المدينة وتبعيتها للإقليم الثالث عشر "إيون" وعاصمته هليوبوليس منذ الدولة الوسطى، ثم الإقليم الثامن عشر الذى سُمى بإقليم الطفل الملكى الشمالى، وكونها عاصمة إقليم "إمتى خنتى" أو "إم خنت" الذى رُمز إليه بالطفل بالتاج الملكى: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، ص ١٠٣-١٠٨.

^(٩٩) وحكم الملك نكتانبو الثانى خلال الفترة من عام ٣٦٠ حتى عام ٣٤٢ قبل الميلاد، أنظر:

Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 56-57, 164, 184.

^(١٠٠) انظر: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، ص ٦٥. وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: معابد باستت وبرباست، فى: Arcus 4A , Botsdam ,

1997 Universität, ص ١٠-١١.

Naville, E.: Bubastis (1887-1889), EEF 8, London 1891, Pl. XXXA; El Kordy, Z.: La Déesse Bastet, Depuis les temps les plus reculés de l'histoire, jusqu'à la fin du Nouvel-Empire, p. 10.

^(١٠١) محمود عمر محمد سليم: بئر العائلة المقدسة فى تل بسطة، ص ٢٠٧-٢٤١.

^(١٠٢) انظر عن جامعتها ومكتبتها: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال الدولة الحديثة (الفرعونية) (١٥٥٠-١٠٧٥ ق.م)، ص ٤٠٣-٤٠٦. وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: معابد باستت وبرباست، ص ١-٤٢.

وعن الجامعات (دور الحياة) و دور الكتب والمخطوطات (برمزات) و (برن سشو) منذ الدولة القديمة (عام ٢٦٧٠ قبل الميلاد) وحتى أواخر العصور الفرعونية، انظر: عبد العزيز صالح: التربية والتعليم فى مصر القديمة، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٢١٩-٢٢٨، ٣٥٩-٣٦٦.

Sauneron, S.: Maison de Vie, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, par Posener, G., Paris 1988, pp. 158-160.

وعلى مر عصور مصر القديمة سجلت آثار المدينة أو الأثار التي تتحدث عنها مشاهير البوبستيين من نواب الملوك وكبار الوزراء والسياسة والدبلوماسية من مبعوثى الملك والدولة وكبار الكهان، والأطباء والجراحين، ورجال العلم بجامعتها ورجال القانون والجيش والاقتصاد والتعدين، وكبار مسئولى احتفالات الملوك، والذين كان لهم قصورهم أو مقابرهم المهمة^(١٠٣). ومن ثم فليس غريباً أن تستمد شخصية "نفرتى" هذا التميز الأدبى الذى أستمدته من علوم هذه المدينة العريقة، ومن معابدها التى كانت ركيزة الشعاع الفكرى فيها.

ولم تتحقق أمنيات "نفرتى" هذه فى إبعاد خطر هؤلاء الأسيويين، وكانت من أولى النتائج لتحذيراته العدوان الذى قام به الهكسوس على برباست مدينته وسيطرتهم عليها خلال الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة^(١٠٤)، حيث استقروا فيها وفى عاصمتهم "أفارس" بالقرب منها لمدة زادت عن القرن، بعد أن تعرضت مدينة الأديب "نفرتى" للدمار وتمكنوا من دخولها والسيطرة على حصونها القوية، وبعد أن استقرت لهم الأوضاع فيها اهتموا بها و بمعبودتها وتأثروا بفنائها ومفكرها^(١٠٥). فكان هذا الاحتلال هو ثمن لعدم الاهتمام بما تنبأ به أديبها الذى تمنى فى إنقاذ مصر إنقاذ مدينته برباست، وبقيت أحلام أديبها "نفرتى" حتى كانت حروب التحرير التى انتهت بانتصار الملك "أحمس" أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة عليهم وطردهم وملاحقتهم خارج مصر^(١٠٦)، وسجلت المدينة فى كنزها المحفوظ بمتحف جامعة الزقازيق أوسمة الذبابة التى عُثر عليها فى المدينة، وتعود للاحتفال بتحريرها وبطولات أبنائها من القادة العسكريين المتميزين^(١٠٧).

^(١٠٣) انظر عليا القوم فى تل بسطة: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها -خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، ص ٨٤-٩٠. وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال الدولة الحديثة (الفرعونية) (١٥٥٠-١٠٧٥ ق.م)، ص ٣٠٨-٣٣٧.

^(١٠٤) كانت سيطرة الهكسوس خلال الفترة من عام ١٦٥٠ حتى عام ١٥٥٠ قبل الميلاد، انظر:

Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 77-80, 161, 216-219.

وذلك خلال ما بين الدولتين الوسطى والحديثة، حيث كانت هناك أسرتان منهم، وهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة وسيطروا خلالها على الحدود الشرقية للدلتا واتخذوا مدينة أفارس (حوت وعرة) عاصمة لهم وتمركزوا فى برباست، وبالتدرج بسطوا نفوذهم على الدلتا، وأخيراً سيطروا على المملكة كلها، ويبدو أن مصر السفلى والوسطى قد تهدنتا كعهم. وجاء رد الفعل من أمراء طيبة فى الأسرة السابعة عشرة الذين قاموا بحروب طردهم. وقد سماهما مانيتون (المؤرخ المصرى القديم) "الرعاة" أو ملوك الرعاة، والذى أساء فهم اسم الهكسوس الذى معناه باللغى المصرية القديمة "أمراء الأراضى الأجنبية". انظر: Posener, G.: Hyksos, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, par Posener, G., Paris 1988, pp. 136-137.

^(١٠٥) انظر: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة- تاريخها وتطورها -خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى، ص ٦٥. محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال الدولة الحديثة (الفرعونية) (١٥٥٠-١٠٧٥ ق.م)، ص ٢٦٥-٢٨٠. محمود عمر محمد سليم: معابد باستت و برباست، ص ١٥-١٦.

^(١٠٦) وحكم الملك أحمس خلال الفترة من عام ١٥٥٠ حتى عام ١٥٢٥ قبل الميلاد، أنظر:

Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 83, 161, 224.

^(١٠٧) انظر: محمود عمر محمد سليم: وسام الذبابة f الذى كُشف عنه فى مدينة باست (تل بسطة)، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، العدد السادس والأربعون، العام الجامعى ١٩٩٦/١٩٩٧، ص ٢٨٩-٣١٨.

وزيادة من الملك "أمنمحات الأول" في تكريس شرعية انتقال السلطة، كانت الرغبة الملحة فى استمالة شرقى الدلتا تخفى شيئاً من الحقيقة. فقد شيد العمائر فى "برباست" التى كان "نفرتى" كاهنها وفى غيرها بشرق الدلتا مثل "الختاعنه" وفى "تانيس". وخرج فى جولة تفقدية فى "وادي الطميلات" (١٠٨)، حيث شيد تحصينات "أسوار الأمير" التى وعد بها "نفرتى" فى برديته بقوله: " *والواحد سيبنى حائط الحاكم يحيا سالمًا معافى، ولن ينزل الآسيويون إلى مصر، وسيطلبون الماء كعادتهم (في) توسل، حتى تشرب ماشيتهم.*" وذلك فى الوقت الذى اضطر فيه إلى تجهيز حملة إلى "الفنتين" بعد وقت قصير من اعتلائه عرش البلاد. وكانت الحملة بقيادة "خنوم حوتب" الأول حاكم الإقليم المسمى بإقليم "الوعل" الذى أبحر صوب الجنوب على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة. وربما واصل تقدمه حتى النوبة السفلى (١٠٩).

رابعاً: شخصية "نفرتى"

وفن السرد فى مصر الفرعونية

ويسود الاعتقاد فى الدراسات الأدبية الحديثة أن علم السرد مجال حديث النشأة، وأنه وليد القرن العشرين، ولم تؤت الجهود التى بُذلت فيه ثمارها إلا فى النصف الثانى منه (١١٠)، وهو اعتقاد ناتج من عدم دراسة الأدب المصرى القديم من قبل الباحثين فى تاريخ السرد الأدبى. ومن أبرز الشواهد على قدم فن السرد نبوءة "نفرتى"، التى لم تستوقف أحداً من الباحثين للوقوف على القيمة الأدبية الحقيقية لها باعتبارها نموذجاً ناضجاً إلى حد كبير، سواء من ناحية البنية السردية، أو لغته. حيث راعى فيها الكاتب قواعد وأصول السرد المعروفة فى عصرها والتى ولاشك قد تركت بصمة فى تطور فنون السرد الأدبى المعاصر، من حيث شخصياتها التى حرص على إسباغ الواقعية على الأحداث من خلال ذكر شخصيات حقيقية مثل الملك "سنفرو" وشخصية "نفرتى" وموطنه إن صحَّ هذا التصور، فجمع فى البنية السردية بين الماضى

(١٠٨) وقعت "برباست" فى امتداد وادي طميلات، الذى يمثل منخفض رملى يشق الصحراء الشرقية من الغرب إلى الشرق، ويبلغ طوله ٥٢ كيلو متر، ومتوسط عرضه نحو سبعة كيلو مترات، ويقع على مستوى سطح البحر ويبدو أنه كان فرعاً من فروع النيل القديمة، ويمتد مجراه. وكان له أهمية كبيرة فى تاريخ مصر خلال عصور تاريخها القديم، واستمد هذا الوادى أهميته من طبيعته حيث كانا ممراً مهماً للعبور إلى الشرق أو لدخول مصر، ونتيجة موقعه فى شرق الدلتا كمدخل لمصر، وحيث كانت المنطقة مكاناً للتحصينات والخطط العسكرية، وأقام فيها قادة الجيش. وزاد من أهمية وادي طميلات الإستراتيجية امتداد هذه القناة فيه، التى عرفت باسم قناة سيزوستريس، تزداد أهميتها فى الربط بين البحرين المتوسط والأحمر عندما ترتفع المياه فى موسم الفيضان وتغمر الوادى، حتى تتمكن السفن ذات الغاطس الكبير - قديماً - من مواصلة رحلتها، التى تابعتها بعد وصولها للشواطئ المصرية الشمالية، ثم تواصل سيرها عبر الفرع البيروزى أو التانيسى، فى طريقها إلى الشرق عبر قناة وادي طميلات، حيث تتجه السفن من برباست للوصول إلى خليج السويس بعد عبور البحيرات المرة، ثم لتواصل رحلتها البطيئة عبر البحر الأحمر. أنظر: محمود عمر محمد سليم: بئر العائلة المقدسة فى تل بسطة، ص ١٩١-٢٠٦.

(١٠٩) انظر كذلك: نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص ٢٠٥-٢٠٦.

وكذلك أنظر عن أعماله والأدلة الأثرية التى تلقى بعض الضوء التاريخى على نهاية الملك "أمنمحات الأول"، وهما برديتى سنهوى، ونصائحه لابنه سنوسرت الأول: نبيلة محمد عبد الحليم: مصر القديمة، تاريخها وحضارتها، ص ٢١١-٢١٧. (١١٠) انظر: عبد الرحيم الكردى: السرد ومناهج النقد الأدبى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٨١.

البعيد، والحاضر، والمستقبل البعيد، وربط الأحداث-على تباعدها الزمني- ربطاً متناهي الدقة، وفيما يشبه المروغة الزمنية على نحو ما نرى في السرديات الحديثة، وإن اختلفت تقنية البنية السردية بالطبع.. والحدث الذي صاغه هو عن لأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر القديمة، خاصة في الفترة التي تعرضت لها البردية. واللغة التي استخدمها للكتابة الإبداعية، والألفاظ التي عبر بها للعامة من الطبقة الشعبية التي أراد أن تصلها نبوعته، وهي لغة تليق بكل شخصيات موضوعه، معتمداً على لغة الحوار بين شخصياته، وهي التي جعلته يعلو كمبدع عن غيره فتبقى سطوره مسجلة في ذاكرة هذا الشعب. والحيز المكاني ومظهره الجغرافي الذي تناولته البردية، سواء أكان قصر الملك "سنفرو" أم أرض مصر في مطلع الأسرة الثانية عشرة، وقد استخدم المظهر الخلفي للحيز للتدليل على معانات ارض مصر وسكانها. والزمن وهو عصر الأديب، ثم عصر نبوعته. وقد استأثر الأديب بعبارات روائية سردية تُعبر عن لغة عصره وتقاليده مجتمعه. واستخدم ضمائر الحاضر والغائب في شكل سرده. وراعى الأديب العلاقة الحميمة بينه كسارد وبين القارئ، وكان هؤلاء الثلاثة مهينون لتبادل الأدوار والمواقع^(١١١).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أحكم الكاتب نسج روايته في أبنية قصصية مشهورة في السرديات المصرية القديمة، واتبع آليات السرد المتعارف عليها في ذلك الوقت، فنسج على منوال بعض الأعمال الأدبية المشهورة، حتى أنه يمكننا أن نتذكر بسهولة بعض الأعمال المتشابهة من الناحيتين البنيوية والأسلوبية، وفي نطاق موضوعات متشابهة أيضاً، وإن اختلفت التفاصيل رغم تشابه الدوافع.

ومن ينظر في حديث نبوءة "نفرتى" يجد أنه قد صيغ في أسلوب شعري، بحيث يؤثر في النفس. ولا ريب في أن كاتبه كان خبيراً بأحوال الشعب، واقفاً على دقائق أخلاق الناس، محيطاً بغوامض أمزجتهم، ومبعث الأمل في نفوسهم. وليس يعلم بما لأمر النفس من الأثر في سياسة الناس، إلا من كتب لهم أن يسوسوا الناس، ورزقوا مؤهلات الزعامة والقيادة. ولهذا فلم يستبعد أحمد بدوى أن يكون الحديث من وضع "أمنمحات" نفسه، حيث كان الرجل صاحب ثقافة عالية ممتازة، فصيح القول، أكمل الله عليه زينة الزعامة، فجعل من أسلحته سيفه ولسانه وقلمه وعقله. فما يُعرف أن زعيماً وصل في هذه الدنيا إلى ما وصل إليه "أمنمحات" وأمثاله، إلا وزوده الله بكل هذا السلاح^(١١٢).

من بين خصائص هذه النبوءة أنها تسرد أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان، وتجسد من شئ مما فيه، متخذة اللغة النثرية الشعرية تعبيراً^(١١٣)، ومن شخصية الكاتب "نفرتى" ذاته

^(١١١) انظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٠، ديسمبر/

كانون أول ١٩٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٨م، ص ٥٣-٢٤٤.

وإذا كان السرد هو مقدمة شئ إلى شئ وتأتى به متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً، فيرى فاضل الأسود أن النصوص الأدبية التي كانت من إبداع المصريين الأقدمين-التي تسبق الإبداع الإغريقي- يتبدى فيها ادوار الراوى والفص غير المباشر والحوار والمونولوج الداخلى.. الخ، انظر: فاضل الأسود: السرد السينمائي، خطابات الحكى- تشكيلات المكان- مروغات الزمن، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٧٦.

^(١١٢) انظر: أحمد بدوى: في موكب الشمس، الجزء الثانى، ص ٩٤.

^(١١٣) انظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص ١٢-١٣.

شخصية محورية لهذا النص، والذي كان يشغل منصب كبير الكهنة المرتلين في مدينة "برباست" بحسب ما جاء في النص.

ويشير النص إلى أنه كان متواضعاً على جلال مكانته، وعظم ثروته، واشتهر بوصفه واحداً من كبار الكتاب المؤلفين، حيث وصف بأنه: "كاتب ماهر الأصابع"، وكان ذلك التعبير هو الشائع لوصف الكتاب البارعين، على نحو ما نصف الماهرين في الأعمال بالتعبير العام الدارج: (أيده تتلف في حرير). لذلك أرسل إليه الملك "سنفرو" - بحسب النص - ليقص عليه مما عنده من جيد الكلام، وعذب الحديث، لعله يدخل السرور إلى نفسه، وذلك مما أظهر "سنفرو" محباً للآداب والفنون، وراعياً للأدباء والحكماء.

وقد قدم النص شخصية "نفرتي" بوصفه حكيم الشرق، حتى أنه يتميز بملكة القدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل؛ ولذلك يعد هذا النص من أهم الآثار المصرية في أدب النبوءات، والذي شاع بين فنون أدبنا القديم، إذ افتتن به الأجداد، وتفننوا في تأليفه لأغراض دينية ودينيوية شتى، منها الأهداف السياسية التي يمثلها هذا النص على نحو ما نجد في تحليلنا له.

وليس من الممكن تحديد ما إذا كانت شخصية "نفرتي" حقيقية، أم من نسج خيال مؤلف النص، إذ لا نجد بين ثنايا هذا العمل ما يشير إلى ذلك، بصرف النظر عن كون السارد يقدمه على أنه شخصية حقيقية؛ لأنه إذ يفعل ذلك فإنه حتماً للتأثير على الملتقي لحمله على تصديق النبوءة، ثم التسليم بما أراده الكاتب / السارد من الإيمان بالاختيار القدرى/الربانى للملك "أميني"، الذي جاء مخلصاً للبلاد من ويلاتٍ أهدقت أو ستحدق بها.

ومن ثم فإن عرض أحداث النص على أنها واقع حقيقى - هو أمر ننفهمه من عمل أدبي يتأرجح بين الواقع والخيال، إلا أن تسليمنا بواقعيته المحضة هو أمر بعيد عن تأثر بالإيحاء العمدى المباشر من الكاتب، إذ لا بد له من قرائن من داخل النص أو من خارجه، لا سيما إذا كان سياق الأحداث عموماً يوحى بالواقعية التامة، والمقبولية المنطقية، بعيداً عن التهويمات الأسطورية أو الخرافية، مهما تمازجت مع بعض الوقائع القابلة للتصديق.

إلا أن كثيراً من العلماء يتحدث عن شخصية "نفرتي" بوصفها شخصية حقيقية، من ذلك ما قاله "برستد" J.H. Breasted: "أن حكيماً آخر من نفس العصر كان يجول في ذهنه شخصية الملك المنتظر... الخ"؛ وقوله: "... نبوءات كاهن مرتل اسمه 'نفرروهو'، وهو يدعى أنها أُلقيت في حضرة الملك 'سنفرو'... الخ"^(١١٤). إلا أن "عبد العزيز صالح" يتحدث في ذلك بحياذ قائلاً: "وقد نسبت... إلى الحكيم 'نفرروهو'، إن حقاً، وإن تخيلاً"^(١١٥).

وعلى أية حال، فإن ما يعنينا أيضاً - فى هذا السياق - ليس فقط شخصية بطل النص وشخصيته المحورية، بقدر ما نريد التعرف على تقنيات السرد المصري، وما إذا كانت شخصياته حقيقية أم من

^(١١٤) جيمس هنري برستد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة / ٢٠٠٠،

مهرجان القراءة للجميع / ٩٩، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢١٦.

^(١١٥) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، القاهرة ١٩٧٣م، ص ٣٦٥.

وحى خيال الكاتب، لا سيما في ضوء الروح الواقعية المسيطرة على النص بحسب دوافع المؤلف وأسلوبه.

وأياً ما كان الأمر، فإن شخصية "نفرتي" في النص تثبت براعة التقنية السردية للأديب المصري القديم في طريقة تقديم شخصياتها، فقد كانت ضمن المشاهد الافتتاحية في النص، أي في إطار الأحداث الأولى ضمن مجلس الملك "سنفرو"، والذي طلب من حاشيته إحضار حكيم، أو أديب يمتعه بأحاديث شيقة ممتعة، فكان ظهور "نفرتي" استجابةً لطلب الملك، وبدايةً لظهور الشخصية المحورية في النص بسلاسة لا نشعر فيها بالإقحام المفاجئ، وذلك في حد ذاته من فنون التقنيات السردية، حين يتقن المؤلف إدخال شخصيات العمل الأدبي في سياق مناسب، وبتمهيد يقبله العقل، مع الحرص على رسم معالم هذه الشخصية بطريقة أو بأخرى، ليصبح حضورها في النص كاملاً ومؤثراً ودالاً، وذلك في إطار دوافع خلق الشخصية وتوظيفها في إطار العمل السردى ودوافعه.

أما عن رسم معالم شخصية هذا البطل، فقد تمت في عبارات موجزة، قدمته على أنه (حكيم الشرق)، وأنه رجل بسيط متواضع، رغم ما يتمتع به من القوة والثراء والشهرة الذائعة، لكونه كاهناً من رجال المؤسسة الدينية في أحد المراكز الدينية الهامة في "بوسطة" القديمة، كما أنه من أبناء إقليم "حقا-عج" (عين شمس) الذي أشرنا إليه سلفاً، والذي كان يتمتع بنفوذ ديني وسياسي عبر تاريخ مصر القديمة^(١١٦).

قال الكاتب ذلك في إيجاز، لكنه رسم معالم الشخصية كاملة، ليمهد ذهن المتلقى/المخاطب للتفاعل مع هذه الشخصية الجديرة بالتقدير، مع افتعال جوٍّ من التشويق بما دار بين الحكيم وبين الملك المحبوب "سنفرو"، والذي طلبه للاستمتاع بأحاديثه. وزيادةً في التشويق دار هذا الحديث في إطار النبوءات المستقبلية، ومن ثم يقبل المخاطب على الأحداث التالية ليقاسم الملك استمتاعه بحديث الحكيم، إذ لا بد وأن ما طلبه الملك - من متعة الحديث - سينتقل - عبر دائرة التلقى - إلى القارئ أو المخاطب، وتلك حيلة المؤلف البارِع لجذب المتلقى للإقبال على النص.

فإذا وضعنا في الاعتبار الدوافع السياسية من وراء كتابة النص دعايةً للملك "أمنمحات الأول" (على نحو ما سنذكر لاحقاً تفصيلاً)، فإننا نجد توفيق السارد/الكاتب في خلق الشخصية المحورية للنص، وإجادة توظيفها في إطار البنية السردية وفق تقنية بسيطة، لكنها محكمة جديرة بالثناء.

إن الشخصية في الرواية التقليدية - في كل العصور - هي كل شيء في العمل السردى، فلا يمكن أن نتصور رواية أو عملاً سردياً دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها، لذلك يسعى السارد لتوظيف قدراته في رسم ملامح الشخصية، والتعظيم من شأنها، والسعى إلى إعطائها دوراً ذا شأن خطير

^(١١٦) كانت "عين شمس" (المطرية حالياً)، أو "أون" قديماً، و"هليوبوليس" في العصر اليوناني - مدينة العلم والثقافة والفكر الديني، ومنبع نظرية هامة من نظريات تصور المصري القديم عن خلق الكون "نظرية التاسوع"، وكانت محط أنظار الفلاسفة ورجال العلم من بلاد اليونان، ومن ثم كانت هذه المدينة وهذا الإقليم بمثابة مركز ذي ثقل ديني وفكري. انظر: عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، ص ٣٣. وربما كانت كلمة "عين" في "عين شمس" تحريفاً للاسم القديم "أون"، أو "يون". وعن تاريخ "عين شمس"، انظر: عبد الحليم نور الدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص ١٥-١٨.

تتهض به في إطار شخصيات الرواية التي يحددها الكاتب في إطار الأحداث، فذلك هو الذى يسوق الأحداث من وراء (البداية) إلى الأمام (النهاية) سوقاً صارماً^(١١٧) نحو النهاية التي يريدها، وبؤرة الدافع من وراء كتابة النص.

ولقد أراد الكاتب تقديم الشخصية المحورية "نفرتى" بوصفه شخصاً حقيقياً في إطار أحداث حقيقية ممزوجة بالخيال من خلال إثارة الدهشة، ليحقق أكثر من هدف؛ أولها إثارة التشويق كما أسلفنا؛ وثانيها تقريب الشخصية من قلوب المخاطبين/المتلقين، للتعاطف معها، والإنصات لها؛ وثالثها إشعار المتلقي بأن هذه الشخصية مُترَعَة بآمال وآلام الشعب، لا شخصية أرستقراطية مترفعة عن هموم الإنسان؛ و رابعها توظيف كل ذلك في حث المتلقي/المخاطب على التسليم بالنهاية التي سعى الكاتب إليها بتأليف هذا العمل. وخامسها إظهار ما كان لهذه المدينة من أدب راق متميز اشتهر به أدباؤها بوصفهم أصحاب الكلمات الجميلة والفهم البارِع والأعمال الأدبية الشريفة، والألفاظ المختارة، والتي يجد من يسمعها الراحة والتسلية، حتى فيما تعانیه البلاد من ويلات وظروف، وجد فيها الكاتب وسيلته للإطالة فى عرضها، فعبر عنها بكلمات فعالة وعبارات رائعة، شكل كل منها جزء من نسيج مهم لاغنى عنه ولا مرادف له، ويصعب توضيحه إلا بإعادة عرضها وتوضيحها، فى شرح مطول، عزف بها على أوتار آلام القلوب والمشاعر. مستفيداً بها لتجديد الأمل فيهم، بعد أن كشف لهم عن حجم الكارثة. ليقدم مثلاً لأدباء مصر القديمة الذين أرتبط فكرهم الرفيع بالشعب وحاجته للديمقراطية، والذين غزوا ونمو روح الحب للحاكم الشعبى.

وإذا كانت البنية السردية في الرواية التقليدية الحديثة تتميز بالتزام المنطق القائم على **تعليل الأشياء وربط بعضها ببعض**، على أساس أن الحدث لا يمكن أن يقع إلا مرتبطاً بعلة ما، أو بعاطفة ما، أو بدافع أو مبرر ما، وتوظف الشخصية لإنجاز الحدث الذي وكل الكتاب لإنجازه بصرامة تقنيات إجراءاته وفقاً لتصوراته أو أيديولوجيته أو فلسفته فى الحياة^(١١٨)؛ فإن مؤلف "تنبؤات نفرتى" قد نجح فى خلق وعرض شخصية "نفرتى" باقتدار، فجعله حكيماً مصرياً مترعاً بهموم الناس، قريباً من هواجسهم، معبراً عن الآلام وآمالهم.

وسواء أكانت الشخصية حقيقية أم خيالية، فإنها عاشت فى وجدان المصريين بوصفها شخصية حقيقية، للأسباب التي ذكرناها من كونها التحمت بوجدان الشعب، وعبرت عن مكنون نفسه، وأحداث عصره؛ وذلك كان شأن "نفرتى" كغيره من الكتاب البارعين الذين عاشوا فى وجدان المصريين عبر آلاف السنين.

ونعتقد أن "نفرتى" هو ذاته المؤلف الخالد المشار إليه باسم "نفرى" فى فقرة بإحدى البرديات من عهد الرعامسة^(١١٩)، والتي تؤكد بنصها ودلالاتها على ما ذهبنا إليه، ونقول هذه الفقرة:

^(١١٧) عبد الملك مرتاض: فى نظرية الرواية، بحث فى تقنيات السرد، ص ٨٦.

^(١١٨) عبد الملك مرتاض: فى نظرية الرواية، بحث فى تقنيات السرد، ص ٨٦.

^(١١٩) "الرعامسة" هم ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، ممن حملوا الاسم (رعمسيس) أو (رمسيس).

"وإن كتاباً واحداً لأكثر نفعاً من بيت مؤسس، ومن قبرٍ فى الغرب، وإنه لأجملُ من قصرٍ مُنيف، ومن نصبٍ تذكارى في معبد. فهل يوجد إنسان مثل "حور- ددف"، وهل يوجد آخر مثل "إمحتوب"، على أنه ليس في عصرنا واحد مثل "نفرى"، أو "خيتى"، وهو الرئيس بينهم. وإنى أذكرك باسمين، "بتاح إم تحوتى"، و"خع خبر رع سونب، وهل هناك من يماثل "بتاح حوتب"، و"كارس". (١٢٠)

وبعد ذلك نجد الأسباب التى دعت إلى تخليد أعمال هؤلاء المؤلفين، يقول النص: "فهؤلاء هم الحكام الذين تنبؤوا بالمستقبل، وقد وقع فعلاً ما تقوهوا به".

خامساً: نبوءة نفرتى

والسردي السياسى الاجتماعى لأدب الحكمة وآليات تأويله

وكان الكاتب واضحاً فى رسم معالم برديته عندما جعلها من أدب الحكمة فى مصر القديمة بعد أن جعلها مرآة لشخصية الحكيم "نفرتى، حيث قال الملك: "إننى دعوتكم لتبحثوا لي عن ابنٍ لكم حكيم"، ثم تم تقديم للملك: إنه حكيم^(١٢١) الشرق، المنتمى إلى "بست". وهو وصف يوضح أنتماء هذا اللون إلى أدب الحكمة. وتضمنت البردية إشارات لأمر شتى تتعلق بالأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة. ولم يعرض كاتبنا مواظمه أو حكمه بالشكل التقليدى المعروف فى تعاليم ونصائح المصريين القدماء، وإنما عرضها بشكل غير مباشر من خلال سرده لحالات التردى الأخلاقى والاجتماعى التى عاشتها البلاد فى تلك الفترة، وتقبيحه لها، وتشخيصه لاسبابها. ثم تبشيره بالحل المطروح والصورة المثالية للحاكم الذى تحلى بالقيم والخلق الرفيع والمؤهلات التى توافرت فيه. وجميعها يقدمها بصفته حكيم الشرق.

لقد نجح الكاتب فى بردية "نفرتى" أن يثبت براعة التقنية السردية للأديب المصرى فى أدب أحكامه، كأحد أقسام الأدب المصرى القديم^(١٢٢)، والذى يرى "جورج بوزنير" Georges Posener أنه من أسمى وأقدم نصوص الأدب فى مصر، حيث كان التلاميذ يدرسون فى المدارس كتب الحكمة، وكان يعرفها كثير من أفراد الشعب، وكثيراً ما تقدم هذه الحكم فى صورة نصائح، وقد بنيت هذه التعاليم على التجريد وانتقلت بالتقاليد، فنتناول طريقة الحياة، التى يجب أن يسلكها المرء لى يكون سعيداً، وتناولت شتى

(١٢٠) هذه الفقرة نقلاً عن "سليم حسن"، انظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ١٨٢-١٨٣. والأسماء الواردة فى الفقرة هي لعدد من كبار المؤلفين فى مصر القديمة، أوردهم الكاتب فى النص لتعظيم شأن الكتابة والمؤلفين.

(١٢١) وردت حكيم فى البردية، وترجمته الحرفيه "العارف بالاشياء" *rh-ht*.

(١٢٢) ويكاد يتفق العلماء على تقسيم الأدب المصرى القديم إلى أربعة أنواع، أولها أدب القصة، وثانيها أدب الأناشيد والأغاني، وثالثها أدب الحكم والأمثال والنصائح. ثم الأدب الدينى والأسطورى.

انظر: محرم كمال: الأدب المصرى القديم، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٣م، ص ٨٦-٨٧.

وكذلك انظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الجزء الأول، ص ٣٣٣-٣٣٧.

مواضيع آداب اللياقة إلى صلاح الروح. ومن أثنى الفضائل التى يتضمنها هذا الأدب الإنسانية والتواضع والحزم والحدز، وكانوا يطلقون على الحكيم فى مصر "الرجل الصامت" (١٢٣). ولم يحفظ لنا أدب الحكمة الذى كتبه "إمخوتب" فى حوالى سنة ٢٧٧٠ قبل الميلاد (١٢٤)، ولكن لدينا مؤلفات الوزير "بتاح حوتب" كاملة، التى تُعد من أقدم التعاليم أو الحكم كتبها فى عصر الدولة القديمة، وتتضمن نصائح أخلاقية تولى كامل اهتمامها لاحترام العادات والتقاليد وسلطة الحاكم (١٢٥). وجاءت من أوائل الدولة الوسطى التعاليم الملكية -الرائعة- التى سبق الإشارة إليها - وهى تتقف الأمير مريكارع قبل أن يُصبح ملكاً فى فن الحكم ليحفظ اسمه ويحظى بنعيم الآخرة "تقبيل فضيلة الرجل العادل أكثر من ثور الأثم". وفى الدولة الوسطى استعملت صيغة التعاليم كتبرير لأعمال الحاكم "أمنحات الأول"، أو لإبراز أهمية مهمة الكتابة "انتقاد الحرف". وحتى ذلك العصر كان أدب الحكمة يعبر عن آراء الطبقات الحاكمة (١٢٦).

وبرع الكاتب البوبسطى "نفرتى" فى استخدام أدب الحكمة كأدب وصفى رفيق المشاعر، بليغ الدوافع والانتماء للطبيعة المصرية القديمة بصفة عامة، ولشرق الدلتا ومدينته "برباست" بصفه خاصة، وأراد ببراعتها وطبيعتها التى لم تلوثها الحياة "أمرتبة" أن ينهض بها ويصلح من أحوالها، وأن يناصر شعبها متخذاً لها مثلاً أعلى فى حب الشعب، لتعبر عن قناعة وعقيدة راسخة لدى رموز المجتمع لا يحيدون عن تحقيقها بوازع من الحب والعطاء لمجتمعهم وعلمهم.

وهو بهذا قد عبر عن ما حققه المصريون القدماء من تجويد لأساليبهم، والبحث عن الجديد من الموضوعات والعبارات التى تثير الدهشة والإعجاب، بعيداً عن التقليد أو المحاكاة الحرفية لسابقيهم. وجاء الأديب بمؤلفه فى إطار مفاهيمه الأدبية، التى عبر عنها أحد النصوص المصرية القديمة، وقيلت على لسان أحد الحكماء:

h3 n.i hnw hmmy, tsw hppy, m mdt m3t tm.ti sw3, šwt m whmmt, nn st n sbt r hrw.

انظر: (١٢٣) Posener, G.: Sagessés, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, par Posener, G., Paris 1988, p. 256.

(١٢٤) يظهر إمخوتب فى قاعات عرض المتاحف فى تماثيل برونزية صغيرة لرجل جالس وينشر لفاقة من ورق البردى فوق ركبته. وهو حكيم مؤله، ولا نعرف غير القليل عن حياته وأعماله، ومنها أنه كان مستشار الملك "زوسر"، ومنشئ فن العمارة الحجرى الجميل الذى ظهر فجأة فى هضبة سقارة. اختفت الكتب التى ألفها، كما أختفى قبره. وكرمه تلاميذه بقطرات ماء كان يسكبها الكتبة اللاحقون من قدورهم تكريماً له. وعبد بشكل واسع فى العصر المتأخر، وظلت شهرته منتشرة، وكرست له عدة أبنية فى كثير من المعابد بمنطقة طيبة. ونال شهرة عظيمة بين كل الإغريق. انظر:

Sauneron, S.: Imhotep, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, par Posener, G., Paris 1988, pp. 138-139.

(١٢٥) وذكر بتاح حنتب أنه كان وزيراً للملك من عصر الملك "شيسس كارخ" (اسيسى) رابع ملوك الأسرة الخامسة من سقارة سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص ١٨٦-١٩٧.

وعن نصائحه انظر: عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، القاهرة ١٩٨١م، ص ٣٥٩-٣٦٠.

انظر: (١٢٦) Posener, G.: Sagessés, p. 256-257.

" ليتني أجد (ليت لي) أقوالاً غير معروفة، وكلاماً مدهشاً من ألفاظ طازجة ليست دارجة، خالية من الابتذال، فلا يكون كلاماً لمجرد الثثرة ".^(١٢٧)

حيث عرض الحكيم عبارات جديدة، وجمل عبقرية غير مألوفة، ونأى بنفسه عن العبارات الدارجة والأساليب المبتذلة، حرصاً على التجديد لا المحاكاة. وعلى ذلك فكلام الحكيم يذكرنا بالمصطلحات التي يطلقها النقاد الحدائي في زمننا، نحو "الفنتازيا" أو "الدهشة"، و"الأفكار أو العبارات الطازجة"، و"الابتذال"، و"المحاكاة"، إلى غير ذلك من مصطلحات النقد الحديث. ولعل ذلك يؤكد أصالة الأدب المصري القديم، وعبقرية مُبدعيه^(١٢٧).

وطلقت هذه البردية جانباً ما زال الأديباء حتى الآن يجدون فيه مجالاً لروائع الأعمال حيث جاءت في شكل كتابة سياسية بخصائصها المتميزة، فجمع في انخفاقة لغوية واحدة بين المرسل والمتلقين في فعل تواصل حميم، حيث يوجهه للآخرين في حركة خارجية مسموعة، وجاء تناوله التاريخي لاستثارة المكنون في الوعي الجماعي، ليتجاوز العاطفة الفردية عزفاً على الشعور في طابعه القومي المشترك. وعبر بوضوح عن أنه اللسان والعين الباصرة لأمته، فارتبط مجده على نجاحه في بلورة الرؤية الجماعية، مختزلاً ظروف المجتمع وأحواله^(١٢٨).

وعلى الرغم من اعتقاد العلماء بأن أولى خطوات علم الاجتماع التاريخي كانت منذ خمسينيات القرن العشرين، حيث بدأ التقارب بين علم الاجتماع والتاريخ مع تجمع كم ضخم من معلومات التاريخ الاجتماعي، ونتيجة التغير الاجتماعي المتسارع الذي فرض نفسه على انتباه علماء الاجتماع^(١٢٩)، إلا أن كاتبنا "تفرتي" قد أثبت أنه قد سطر أصول علم الاجتماع التاريخي أو علم الاجتماع السياسي في هذه السردية التي التحمت فيها في عباراته صفحات تاريخ هذه العلوم.

ولم تتفصل عن السرد القصصي في الأدب المصري القديم في كثير من نماذجه ذات البعد القومي والسياسي، والتي لا يمكن في كثير من الأحيان أن نعزوها إلى مجرد الممارسة الفنية أو الفلسفية أو الفكرية، بقدر ما نعزوها إلى دوافع سياسية الطابع، سواء أكان ذلك الأدب موجهاً إلى الحاكم بطريق غير مباشر (بوصفه أدباً اجتماعياً)، أم كان موجهاً إلى المحكوم (الشعب) على سبيل الدعاية، أو التتوير، أو التحريض أيضاً.

وبمعنى آخر فإن النصوص السردية المصرية القديمة كثيراً ما كانت نصوصاً موجّهة، أي مكتوبة بهدف ما محدد سلفاً، وذلك لتوصيل فكرة ما إلى المتلقي، أو ربما توجيه رسالة غير مباشرة، هي في جوهرها ذات بعد سياسي واجتماعي، بصرف النظر عن الجوانب الفكرية أو الفلسفية أو حتى الإنسانية التي قد يحفل العمل السردى بها، حتى وإن بدا للقارئ مسيطراً على الأحداث، وحاضراً في أغلب مفردات هذا العمل.

^(١٢٧) انظر: أحمد علي منصور: الجمل الصغرى التابعة السادة مسدّ الاسم في اللغة المصرية القديمة في عصرها القديم والوسيط، ص ١٠-١١.

^(١٢٨) انظر: أحمد زلط: الخطاب الشعري الوطني والسياسي، واتجاهاته وروائع أعلامه، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٧-١٨.

^(١٢٩) انظر: بيتر بيرك: علم الاجتماع والتاريخ، ترجمة داوود صالح رحمة، دمشق ٢٠٠٧م، ص ٢٧-٢٨.

وربما تنطبق رؤيتنا -بصفة خاصة- على السرد القصصي في الأغلب، لكن يمكن أن نجدها كذلك في غير ذلك من الألوان الأدبية، وعلى رأسها الأناشيد الوطنية التي تمجد أعمال الملوك وانتصاراتهم، بل وفي بعض التعاليم والوصايا الخلقية، خاصة إذا جاءت على لسان أحد الملوك، أو منسوبة إليه، مثل تعاليم "أمنحات الأول" لابنه، والتي يمكن ضمها إلى هذا النوع، وإن اختلفت طبيعة وظروف النصين من حيث آليات تأويل السرد المصري.

فالنصان يرجعان إلى نفس الفترة الزمنية بظروفها السياسية، إلا أن النص الأول -موضوع هذا البحث- يرجع لبداية حكم الملك "أمنحات الأول" (١٣٠)، بينما النص الثاني (التعاليم) (١٣١) يرجع إلى أواخر عهده، وبين النصين تقع فترة حكمه التي امتدت قرابة الثلاثين عاماً (١٣٢)، وهي فترة نستطيع أن نتعرف خلالها على كثير من الوقائع الخطيرة في تاريخنا القديم، اجتماعية وثقافية، وتاريخية وسياسية. إلا أن نبوءة "نفر روهو" أو "نفر تي" - موضوع هذا البحث- قد تبدو ذات دلالات أكبر من الناحية التاريخية؛ لأن هذا النص لا يفسر فحسب بداية عهد "أمنحات الأول" عند توليه العرش، بل أنه يعكس أمرين في غاية الأهمية، وهما:

- ١- أنه يجعل من البطل الأول للقصة ملكاً قديماً (قياساً لوقت كتابة النص)، وهو الملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة، أي قبل كتابة هذا النص بحوالي ٦٥٠ عاماً.
- ٢- أنه يتحدث أيضاً ولو عرضاً عن أحداث - بوصفها واقعاً - تركت آثارها البعيدة على المستقبل، وذلك فيما يخص حديثه عن الآسيويين، ومخاطر تحرشهم بأرض المصريين في ذلك الوقت، وهذا ما يعني لنا للمؤرخين أن إرهابات أو بوابر غزو "الهكسوس" لمصر ربما ترجع إلى فترة كتابة هذه البردية. وربما كان في ذكر أخطار الآسيويين نوع من التنبؤ بما حدث، وإن كنا لا نجزم بأن ذلك كان في بال الكاتب، إلا أن مجرد ذكر هذه الأخطار - قبل وقوع نتائجها - يُعدُّ بمثابة تنبؤ بهذه الأحداث ونتائجها. ولا شك في أن تركيز مؤلف النص على

(١٣٠) "أمنحات الأول" أول ملوك الأسرة الثانية عشرة، نقل مقر الحكم من "طيبة" إلى عاصمة جديدة سماها "إيثت ناوى"، بمعنى: (القابضة على الأرضين)، أى: (الوجهين البحري والقبلي). كان ملكاً قوياً، نجح في بضع سنوات أن يحقق لمصر رخاءً لم تعرفه منذ الأسرة السادسة، واهتم بالإدارة، وأعاد الاستقرار والنظام إلى البلاد. وللمزيد انظر: رمضان عبده السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، ص ٢٥٨-٢٦٢.

(١٣١) تعاليم "أمنحات الأول" إلى ابنه "سنوسرت الأول"، عثر عليها مدونة على عدد من البرديات، ولفافة من الجلد، وبعض اللوحات الخشبية والشقاقات. وتعتبر نيرة خيبة الأمل السائدة في هذه التعاليم عن وجود مصاعب سياسية عانى منها النظام الملكي منذ بداية الأسرة الثانية عشرة (عام ١٩٩٤ ق.م)، خاصة أن النص يجسد مؤامرة حيكت ضد الملك "أمنحات الأول" بتحريض من المقربين إليه. إن النيرة العامة -التي كانت على قدر من التشاؤم- هي لرجلٍ مرَّ بتجربة شخصية قاسية، إذ عانى من خيانة من داخل القصر للتأمر على حياته، ومن ثم يبدو أن هدفها كان تحذير الابن "سنوسرت الأول" من الفتن والمؤامرات، حتى يحافظ على أركان ملكه. وعن الترجمة العربية للنص، انظر: كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ص ٧٥-٧٦، وملاحظات على النص في نفس الكتاب، ص ١١١-١١٢.

(١٣٢) حكم "أمنحات الأول" ثلاثين عاماً، بين عامي (١٩٩٤-١٩٦٤) قبل الميلاد، انظر:

Beckearth, J.v.: Handbuch der ägyptischen Königsnamen, ss. 65 , 159 , 197.

تحرص الأجناب بمصر، بل وتسلبهم أو غزروهم للبلاد - ما يعكس واقعاً حقيقياً صدقته الأحداث التاريخية، ليس بالنسبة لمصر فقط ولكن بالنسبة لمدينته برباست كما سبق أن ذكرت.

وبصرف النظر عن كون هذه الأحداث جاءت في شكل النبوءة؛ فلم يكن من الممكن أن يبتدع المؤلف هذه الأحداث لمجرد التنبؤ، وإنما عكس واقعاً يراه حادثاً، أو على الأقل محتوماً الحدوث نتاجاً لأحداث واقعية لا يمكن أن تكون عواقبها إلا على النحو الذي ذكره المؤلف.

ومن خلال تناولنا لنص الحكيم المصري القديم "نفرتي"، نتعرف على تقنيات السرد المصري القديم في بُعديه السياسي والاجتماعي، وذلك من خلال آليات للتأويل تعتمد على ربط العمل بالسياق التاريخي من جهة، وبالسياق الحضاري من جهة أخرى، إضافةً إلى التعرض للنسيج الفني واللغوي للنص، وذلك باعتباره واحداً من أقدم النماذج الأدبية للسرد السياسي في الأدب الإنساني.

وعلى ذلك تتجاوز هذه الدراسة نطاق التناول السوسيولوجي الذي تتبناه الدراسات الحديثة في تناول السرديات المعاصرة، وإن كانت لا تتجاهله في إطاره الزمني البعيد، إلا أنها تميل - بحكم التخصص وغاية البحث - إلى التناول التاريخي، وذلك دون إحالة البحث إلى الدراسة التأريخية الخالصة، وإنما بما تقتضيه ضرورة التعرف على تاريخ السرد الأدبي في العالم القديم، والشرق الأدنى القديم منه بخاصة، ومصر القديمة على نحو أخص.

وهكذا فإن يتضح أن هذه البردية تخص نوعاً من السرد الذي يعرض أمرين:

أ- النزعة التاريخية التي تعالج الطرح الأدبي بوصفه وظيفة للتطور السياسي.

ب- النزعة الاجتماعية التي ترى أن الطرح الأدبي يجب ألا يكون - كما هو شائع - انعكاساً مباشراً للوعي الاجتماعي^(١٣٣).

ومعنى هذا هو أننا نعتمد الأدب على أنه من موضوعات المعرفة التاريخية. وبدلاً من أن نرى في الأدب أحد العوامل المساعدة (كما هي الحال في التاريخ الكلاسيكي)، فإننا نراه أهم العوامل المساعدة في الكشف عن "قوانين" الحركة التاريخية وتطورها. نرى هذا في الماضي، كما نراه في الحاضر. ففي الأدب نستطيع أن نرصد الدلالة التاريخية ونفسرها، إذ نعثر فيه على منجم ضخم لفهم التاريخ^(١٣٤).

والتحليل لشخصية الكاتب في مصر القديمة يجب أن يراعى أن الأدب ينساب في نغمة إيقاعية ولا يسير في خط متصل، فلكل من الأدياء وقته وظروفه. وقيمة الأدب القديم في أنه يرينا اللبنة الأولى في بناء الأدب والجهود التي بذلها القدماء في خدمته حتى وصل إلى مظهره الحديث. ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الأدب المصري القديم والحديث، إذ أن الثاني نتيجة نمو الأول وتطوره^(١٣٥).

والتحليل النقدي لهذا النوع من الأدب في مصر القديمة له مغزى آخر وهو الوقوف على نبوغ شيوخ أدباء مصر القدماء. ويتضح هذا في بردية "نفرتي"، في عرضها للشخصية التاريخية في العمل

^(١٣٣) مصطفى عبد الغنى: الاتجاه القومي في الرواية، سلسلة "عالم المعرفة"، عدد ١٨٨، أغسطس/ آب ١٩٩٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٤م، ص ١٠.

^(١٣٤) مصطفى عبد الغنى: الاتجاه القومي في الرواية، ص ١١.

^(١٣٥) انظر: سليم حسن: الأدب المصري القديم أو أدب الفراغنة الجزء الأول، ص ١٥.

الأدبى. وهو موضوع يثير قضايا تكشف عن أصالة الأديب وموقفه من هذه الشخصية، ووعيه بأحداث العصر السياسية والاجتماعية، أو بمعنى آخر بمدى وعيه بإيقاع العصر ونبضه، أو ما يدعى الوعى التاريخى^(١٣٦).

ولهذا يتضح أن اختيارنا لهذا الموضوع للبحث، ليس فقط لدوافعنا الأثرية والتاريخية لكشف مزيد من الأسرار عن تاريخنا القديم، وإنما لدوافع أخرى لا تقل أهمية، لعل منها المزيد من الدراسة التحليلية لأدبنا القديم، والتعرف على مكامن الإبداع فيه، سواء أكان ذلك الإبداع فناً (على مستوى البنية والتشكيلات اللغوية، وتقنيات السرد)، أم كان ذلك الإبداع فكرياً على مستوى الرؤى الإنسانية لسير أغوار هذا العالم، والتعرف عليه من خلال الخيال الأدبى الذي يتغلغل في الوجود من خلال المجتمع، ويتخلل في كل ذلك من خلال شخوص العمل الأدبى، في سياق أحداث خيالية أو واقعية.

الخاتمة:

كانت "برباست" مرآة لمسيرة الأدب المصرى كواحدة من أهم مدن شرق الدلتا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً خلال عصور مصر القديمة منذ نشأتها من قبل الأسرات، وحتى أضحت عاصمة مصر خلال الأسرة الثانية والعشرون، فجاء الأدب فى مصر القديمة ببعض من صفحاته يحدث عنها، وكان منها بردية "تفرتى"، التى نسبت لأديبها ومدرستها الفكرية، لتوضح بالإضافة لأثارها أنها ساحة للفكر والثقافة والجمال. وهى بذلك تعد من أهم الصفحات التى تقدم صورة علمية واضحة لنضج الأدب المصرى القديم، ونبوغ جانب الحكم والأمثال والنصائح والتأملات فيه، ومعرفته السرديات بأصولها. وتضاف هذه البردية لنماذج الأدب المصرى القديم الذى يعد من أقدم أنواع الأدب فى العالم، ولتؤكد أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحاً أدبية خالصة للأدب، وأنها أول من وضع مؤلفاته الأدبية منذ ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد، والتى تتميز بأصالتها حيث نشأت فى أرض مصر، وأبدعها شعبها وليدة لظروفها، وتعبيراً عن مشاعره، واضعاً الأساس الذى اهتدى به الأدب فى بعض الأمم بحكم توغله فى القدم، فغزا الأديبين العبرى والإغريقى، وأعانها على أن يلعبا دوريهما فى الحياة الأدبية قديماً. وتميز الأدب المصرى بمعايشته بحاجات الشعب ونضوجه السياسى والاجتماعى، بالإضافة لعنايته بالأسلوب القوى الجميل الذى يجد فيه القارئ أو المستمع غذاء لروحه وإشباعاً لنفسه، وهو أسلوب استمد عذوبته وجماله من بساطته التى لا تكلف فيها، تلك البساطة التى تجعله ينساب إلى النفوس فيستهوئها، والى الأسماع فيستولى عليها. وكان هذا الأسلوب يشند ويقوى فيما جل من الأمور، ويرق ويلين فى التعبير عن مختلف الأحاسيس والعواطف، وما تجيش به النفس من مشاعر^(١٣٧).

^(١٣٦) قاسم عبده قاسم وأحمد إبراهيم الهوارى: الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٤٠ - ٤١.

^(١٣٧) انظر: محرم كمال: الأدب المصرى القديم، ص ٨٦-٨٧.

وانظر: سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو آداب الفراعنة، الجزء الأول، ص ٥-١٧.